وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
سلسلة بيت الحكمة
٤

أَصْوَاتُ العَرَبِيَّة

بين التحوُّلِ والثَّبَاتِ

تأليف

الدكتور حسام سعيد النعيمي

أَصْوَاتُ العَرَبِيَّة بَيْنَ التَّحَوُّلِ وَالثَّبَاتِ

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
سلسلة بيت الحكمة
٤

أصوات العربية

بين التحول والثبات

الدكتور
حسام سعيد النعيمي
استاذ الدراسات اللغوية في كلية الاداب بجامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تتجه الدراسات اللغوية في العصر الحديث في جانب اساسي من جوانبها الى دراسة الصوت اللغوي ، وما يعرض له من مشكلات في اي لغة من اللغات . وقد كنت بحثت جانبا من اصوات العربية ومشكلاتها في ثلاثة فصول متفرقة رأيت ان اضمها في كتاب واحد لان ذلك احفظ لها ، وأسير ، ولأبلغ الغاية فيما ارجوه من وراء نشرها من التنبيه على مايحيط باصوات العربية من مشكلات اساسية ، فكان الفصل الاول : "التحول والثبات في اصوات العربية" تناولت فيه ماقيل من آراء في تحول عدد من اصوات العربية ، وناقشت ذلك ، واثبتّ ماأراه فيه .

اما الفصل الثاني فكان : "اصوات العربية : واقعها ومستقبلها" تناولت في جانب منه مادخل العربية الفصيحة من اثر التغّير في اصوات ابنائها ، وبينت صوره واسبابه ، وتناولت في جانب اخر ما يمكن ان يهدد العربية الفصيحة بالتسرب فيها من اصوات اللهجات العامية ، وحذرت منه ، متخذا المنهج الوصفي في ذلك .

وكان الفصل الثالث : "الكتابة الصوتية" تناولت فيه واقع الرموز الكتابية العربية وعلاقتها بالرمز الصوتي ، وما صنعه غير واحد من المحدثين من محاولة المساس برموز الكتابة العربية الموروثة ، او الدعوة الى تغييرها ، او استعمال الرموز الاجنبية في الكتب العلمية . وانتهيت الى وضع مقترح لرموز الكتابة الصوتية العربية ، ارجو ان يكتب له الشيوع ، أو أن يكون حافزا للمشتغلين بالدراسات الصوتية عندنا للاتفاق على رموز صوتية عربية موحّدة .

واني لارجو ان يجد القارىء في هذه الفصول صورة من صور الدراسة الصوتية التي تجمع بين الاصالة والمعاصرة ، وأن يجد فيها من المقدمات والاستدلال مايصل به الى صحة النتائج التي انتهيت اليها .

والله من وراء القصد .

د . حسام النعيمي

الفصل الأول

التحول والثبات في أصوات العربية

الدراسة الصوتية :

لقيت اصوات العربية من العلماء قديماً وحديثاً من العناية في بيان صفاتها ومخارجها وتعاملها ماجعلها واضحة بينة يستطيع الدارس بتأمله ان يحكم بموافقة اي صوت لما نطقت به العرب او مخالفته ذلك .

وكان من اوائل من عني بالكلام على اصوات العربية علماء اللغة والنحو ، فالخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ذكر في اول "كتاب العين" صفات الحروف ومخارجها وعددا من القوانين الصوتية المتعلقة بها(١) ، هذا على ان جمهور الشاكين في نسبته اليه يميلون الى القول بانه بدأ الكتاب ، واعملت الايدي فيه من بعد(٢) ، ولذا وقفنا عند مقدمته ، ولو ثبت كل ما في "العين" للخليل لافاد الباحث كثيرا مما ورد فيه من المسائل المتعلقة بتعامل الاصوات وتأثير بعضها في بعض(٣) .

---

(١) كتاب العين ـ للخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق د . مهدي المخزومي و د . ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، انظر الصفحات ٥٤ ـ ٥٨ .

(٢) المعجم العربي ـ د . حسين نصار ، ط ١ ١٩٧٦م ، ص ٢٦٥ .

(٣) انظر تحقيق ذلك في : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ـ د . حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد ١٩٨٠م . ص ٥٢ ـ ٥٤ .

على ان فيما كتبه تلميذه سيبويه (١٨٠ هـ) مايغني ، وكتاب سيبويه اجمع العلماء على صحة نسبته اليه وتلقوه بالقبول من غير ان يكترثوا لكلمات قيلت فيه بسبب الانبهار او الحسد او كليهما(٤) ، وقد تكلم سيبويه في باب الإدغام(٥) على مخارج الحروف وصفاتها وتعاملها كلاما فيه من الدقة والاحاطة والشمول ما يجعل الدارس يرى اثره واضحا جليا في كل ماكتب بعده في هذا الباب . ولئن كان الجاحظ قد قال في الكتاب ان كل ماكتب في النحو بعده عليه عيال(٦) . فاننا نستطيع ان نقول باطمئنان ان كل ما كتب في مخارج الحروف العربية وصفاتها وتعاملها بعد كتاب سيبويه عليه عيال . على اننا لانريد ان نبخس العلماء حقهم فلئن كان له فضل السبق لقد كان لهم فضل التفصيل والتطبيق والاكثار من الشواهد وافراد الكتب للدراسة الصوتية كما صنع ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) في كتابه ''سر صناعة الاعراب'' ، وكما صنع ابن سينا الطبيب (ت ٤٢٨ هـ) في رسالته الصغيرة اسباب حدوث الحروف ، وكما صنع علماء التجويد فيما بعد حيث وقفوا كل جهدهم لضبط اصوات العربية والعناية بنطقها ، وتحقيقها على ما كانت العرب تنطقه حين تنزّل القرآن الكريم ، فكان لهم فضل تثبيت هذه الاصوات ونقلها مشافهة متقنة من عصر الى عصر في انحاء العالم الاسلامي الى يومنا هذا ، فقد راوا ان التجويد (من اشرف العلوم لتعلقه بكلام الله تعالى)(٧) وان تعلمه فرض كفاية ، والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة ممن يقرأ القران(٨) ، وكان اول من افرد تأليفا في التجويد على ماذكره ابن الجزري(٩) ابو مزاحم موسى بن عبد الله الخاقاني (ت ٣٢٥ هـ) الذي نظم قصيدة رائية من واحد وخمسين بيتا من البحر الطويل(١٠) ، اكثر من نصفها مقدمة وخاتمة ووصايا ، وفيها ابيات قليلة تحدثت في شيء من القواعد الصوتية ، ويبدو انه نظمها لتشرح ، وهذا ماوقع اذ شرحها ابو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) الذي ألف كتابا في التجويد غير شرح هذه

---

(٤) انظر ما أثير حول الكتاب ومناقشته في ''النواسخ في كتاب سيبويه'' ، د . حسام سعيد النعيمي ، دار الرسالة ، بغداد ١٩٧٧م ، ص ١٥٥ ــ ١٦١ .
وانظر ايضاً : ''سيبويه امام النحاة'' ــ علي النجدي ناصف ــ لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ١٣٠ وما بعدها .

(٥) كتاب سيبويه ، نسخة مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٧هـ ، ٢/ ٤٠٤ وما بعدها .

(٦) انظر : ''انباه الرواة للقفطي'' . ط دار الكتب المصرية ١٩٥٢م ٢/ ٣٥١ .

(٧) قواعد التلاوة وعلم التجويد ــ فرج توفيق الوليد ، دار الرسالة . بغداد ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م ، ص ١٦ .

(٨) نفسه ، ص ١٠ .

(٩) غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ــ نشرة برجستراسر ، ط ٢ بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م . ٢/ ٣٢١ .

(١٠) نشرها غانم قدوري حمد في مجلة كلية الشريعة ببغداد ، العدد ٦ سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م في بحثه الموسوم (علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى)

القصيدة هو التحديد في الاتقان والتجويد ، ومازال الشرح مخطوطاً . وكتاب التجويد واحد من (ثلاثة كتب تتنافس على أن تكون أول كتاب ألف بعد القصيدة الخاقانية وهي :

١ ـ كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي لابي الحسن علي بن جعفر بن محمد السعيدي الرازي المتوفى في حدود سنة ٤١٠ هـ .

٢ ـ كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لأبي محمد مكي بن ابي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ هـ .

٣ ـ كتاب التحديد في الاتقان والتجويد لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ[١١] .

وهكذا نجد الكلام على اصوات العربية مبثوثا في المعجمات ، وكتب النحو واللغة والتصريف ، والقراءات والتجويد . وفي العصر الحديث تناول الصوت العربي بالدرس كثير من الكتاب من العرب وغيرهم ، منهم د . علي عبد الواحد وافي في كتابه "علم اللغة" ود . ابراهيم أنيس في "الاصوات اللغوية" ، ود . عبدالرحمن ايوب في "اصوات اللغة ـ" ، ود . محمود السعران في "علم اللغة" ، ود . تمام حسان في "مناهج البحث في اللغة" ، ود . كمال بشر في "علم اللغة العام ـ الاصوات" ، ود . احمد مختار عمر في "دراسة الصوت اللغوي" ، ود . عبد الصبور شاهين في "القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث" ، وفي "المنهج الصوتي للبنية العربية" ، ود . محمود فهمي حجازي في "علم اللغة العربية" ، ود . رمضان عبد التواب في "التطور اللغوي" ، ود . احمد علم الدين الجندي في "اللهجات العربية" ، وغيرهم ، ومن غير العرب ماكتبه أ . شادة في "علم الاصوات عند سيبويه وعندنا" وبراجستراسير في "التطور النحوي للغة العربية" ، وهنري فليش في "العربية الفصحى" وفي "التفكير الصوتي عند العرب" ، وجان كانتينو في " دروس في علم اصوات العربية" .

---

(١١) علم التجويد نشأته ومعالمه الاولى ، غانم قدوري حمد ، مستل من مجلة كلية الشريعة ، العدد ٦ سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ، ص ٣٦ .

(١٢) الخصائص ـ لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، ط دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م ؛ ١/ ٣٣ .

النظام الصوتي وتطوره :

اللغة كما قال ابن جني (اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم)[١٣] ، وسواء بدأت هذه الاصوات عن طريق الالهام أو التواضع والاصطلاح او محاكاة الاصوات الطبيعية او غير ذلك .[١٣] ، فالذي لاشك فيه انها بدأت بالفاظ قليلة محدودة بالقدر الذي يحتاج اليه الانسان في حياته (ثم احتيج فيما بعد الى الزيادة عليه لحضور الداعي اليه فزيد فيها شيئا فشيئا)[١٤] .

ولاشك في ان الاصوات التي عبر بها الانسان عما استجد في حياته قد تألفت تأليفا يميزها عن التأليف الاول ولولا ذلك لالتبست المعاني وتعذر التفريق بينها وفقدت اللغة قيمتها في التعبير عن الاشياء بشكل ميسر وكانت الاشارة الحسية الى الشيء اسهل في بيان المراد به من الاشارة الصوتية .

وهكذا ولدت الالفاظ الجديدة للتعبير عن المعاني الجديدة ، وهكذا تولد ، كذلك لاشك في أن الانسان قد هجر اصواتا كان ألفها للتعبير عن شيء معين وذلك بعد ان انقطعت صلته بذلك الشيء ، وهذا أمر مشاهد محسوس فكم من الالفاظ لم يعد لها مكان في استعمالنا اليومي لأن ما اشارت اليه لم يبق مستعملا عندنا فمن من اهل بغداد اليوم يجد حاجة الى استخدام (السماية) او (البادكير) او (الكارى) او (الربل)[١٥] وغير ذلك مما كان جاريا على السنة آبائنا وجرى على السنتنا حينا ثم انقطع بانقطاع الحاجة اليه . وهذا الذي وقع في لهجاتنا وقع في الفصيح ايضا على مر الايام ومن اوائل ما حدث من ذلك ماجاء به الاسلام من الفاظ اصطلاحية تحولت بالالفاظ القديمة عن معانيها وما اماته من الفاظ باماتته ماكانت له ، ومن ذلك مثلا "المرباع" و "الصفايا" و "النشيطة" وهو ماكان يأخذه رئيس القوم قبل الاسلام اذا غنموا ، وقد ابطله الاسلام . قال في اللسان[١٦] : "والمرباع مايأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة ، قال :

---

(١٣) انظر علم اللغة ، د . علي عبدالواحد وافي ، ط ٧ سنة ١٩٧٢ ، ص ٩٦ وما بعدها ودلالة الالفاظ ، د . ابراهيم انيس ، ط ٢ سنة ١٩٦٣م ، ص ٢٠ وما بعدها .

(١٤) الخصائص ، ٢/ ٢٨ ، وانظر المزهر للسيوطي تحقيق محمد احمد جاد المولى وصاحبيه . ط عيسى الحلبي ، ١/ ٥٥ .

(١٥) السماية : طاقة في السقف تجعل للضوء ، البادكير : منفذ هواء في الجدار يرتفع الى السطح . الكاري : عربة نقل تجرها الخيول على سكة حديد ، الربل : عربة صغيرة يجرها حصانان غالباً أو حصان واحد ، تسمى في مصر (الحنطور) .

(١٦) لسان العرب ، لابن منظور طبعة مصورة عن ط بولاق ، ٩/ ٤٥٧ مادة (ربع) .

لك المرباع منها والصفايا   وحكمك والنشيطة والفضول

الصفايا مايصطفيه الرئيس ، والنشيطة ماأصاب من الغنيمة قبل ان يصير الى مجتمع الحي ، والفضول ما عجز ان يقسم ، لقلته وخص به .. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم قبل اسلامه : (انك لتأكل المرباع ، وهو لايحل لك في دينك ..)[١٧] . وبقيت امثال هذه الالفاظ كلمات معجمية نعود الى المعجمات لنرى معانيها عند عروض النص لنا . ولاريب في ان الذين لم يكونوا قد دونوا

الفاظهم في معجمات قد فقدوا امثال هذه الالفاظ بفقد مسمياتها ، وهكذا ماتت الفاظ بانعدام الحاجة اليها ، وهكذا تموت ، ذلك ان "النظام الصوتي بعيد كل البعد من ان يكون ثابتا طوال تطوير لغة من اللغات"[١٨] ، وتسهم ولادة الالفاظ وعلاقتها ببعضها في النظم واتصال اللغة بغيرها من اللغات في التأثير في بعض الاصوات في الالفاظ وتحويلها الى اصوات اخرى . الا يرى مثلا ان النون تأتي صافية مظهرة لايشوبها اخفاء او ادغام او قلب[١٩] في قولهم شنب وأشنب . فاذا قالوا : فعلاء ، قلبوا النون ميما ، وقالوا : شمْباء في نطق شنباء ، وان القبائل العربية القريبة من سواحل الخليج شاع فيها من الاصوات ماأطلق عليه علماء العربية الحروف غير المستحسنة ، كما ان ذلك ظاهر في لهجاتنا العامية في البلاد العربية حيث تأثرت اللهجات بما جاورها او خالطها من لغات غير عربية .

واللغة العربية الفصيحة ليست نسيج وحدها بين لغات البشر ، بل هي واحدة من هذه اللغات كان يجري عليها من القوانين اللغوية ما يجري على اية لغة اخرى ، فيؤدي الى انتقالها وتطورها وتغيرها ، ولايبعد ان يكون ماأشار اليه غير واحد من المحدثين[٢٠] من اصالة لغة عربية قديمة وفرعية غيرها مما اطلق عليه (اللغات السامية) حقيقة تاريخية ، فقد "تطورت لغات الجزيرة العربية ، وتحولت لهجاتها

---

(١٧) الحديث في مسند الامام احمد بلفظ (الست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت : بلى قال : فان هذا لايحل لك في دينك) ٤/ ٢٥٧ ، وفي ص ٣٧٨ : "فانه لايحل في دينك المرباع" ، وفي ص ٣٧٩ "أولست تأخذ المرباع؟ قلت بلى" قال ذاك لايحل لك في دينك" .

(١٨) اللغة تأليف ج فندريس ، تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، ط لجنة البيان العربي ، ١٩٥٠م . ص ٦٤ .

(١٩) انظر احكام النون الساكنة والتنوين في النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري تصحيح علي محمد الضباع - دار الفكر ٢/ ٢٢ - ٢٧ .

(٢٠) انظر مثلا تاريخ الجنس العربي ، محمد عزة دروزة ، ط بيروت ١٩٦٤م ١/ ١٦ - ١٧ ، ومن تراثنا اللغوي القديم - طه باقر . ط المجمع العلمي العراقي ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص ١٧ وما بعدها .

الكلامية الى لغات كتابية ، استقلت كل منها باسم خاص ، كالبابلية والآشورية والمعينية ، والكنعانية ، والارامية ، واصبحت لكل منها مميزات خاصة في قواعد اصواتها ونحوها وصرفها ، في اطار اللغة المستقلة ، كما شاركت في قواعد عامة اخرى تتفق فيها مع اخواتها في اطار الاسرة اللغوية المعروفة التي تنتمي اليها ، وهي اسرة لغات الجزيرة العربية العربية[٢١] ،يقوّي هذا ان موجات الناطقين بتلك اللغات خرجت على الرأي الراجح من ''جزيرة العرب'' في ازمنة متباعدة[٢٢] . فكل لغة منها يمكن ان تمثل التطور التاريخي لبعض لهجات العربية القديمة ، واستمرار البحث في هذا المجال كفيل بان يقول الكلمة الاخيرة فيه .

ترى أيمكن ان يتوقف تطور الاصوات في لغة من اللغات؟ ان الاجابة السريعة عن هذا السؤال ستكون ولاشك بالنفي ، لان اللغة التي تتوقف عن التطور الصوتي لابد ان تكون قد فارقت الحياة ، كما هو الحال في اللغة الاكدية ، او الاوغاريتية ، فتطور الاصوات اللغوية تحكمه عوامل عدة[٢٣] ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الانسان والحضارة الانسانية . فالاختلاف الخلقي في اعضاء النطق بين الاجيال المتباعدة ، واخطاء السمع ، وتعامل الاصوات في الالفاظ المستحدثة بالاشتقاق ، او فيما تجاور من الالفاظ نتيجة التأليف ، واختلاف العوامل النفسية والبيئية ، كل ذلك يؤثر بفاعلية ذاتية في اصوات اللغة من غير ان يكون اهل تلك اللغة قاصدين تغيير اصواتها .

ولكن كما ان القواعد لاتكاد تخلو من استثناء ، فاننا ينبغي ان ننتبه الى الواقع التاريخي الذي احاط بالعربية الفصيحة ، فجعلها كشجرة عظيمة تضرب بجذورها في اعماق الارض ، وتنمو اغصانها وتمتد في كل اتجاه ، وهي ثابتة في موضعها لاتبرحه ، لست اريد هنا ان اخرج العربية من دائرة الخضوع لعوامل

---

(٢١) العربية اصل والعبرية فرع ، د . باكيزة رفيق حلمي ، فرزة من المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ، ص ١٨٤ .

(٢٢) انظر تاريخ اللغات السامية ، تأليف ولفنسون ، ط دار القلم ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٥ ، ودراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح ، ط ٣ ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ ص ٤٩ وما بعدها ، وتاريخ الجنس العربي ، ص١٧ ، ومن تراثنا اللغوي ، ص ١٧ .

(٢٣) انظر علم اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، ص ٢٨٩ .

التحول الصوتي ، فنظرة سريعة الى مآآل اليه الكثير من اصواتها في لهجات الناس اليوم يفصح عن ذلك الخضوع بما لايترك متسعا لدعوى او حجاج ، ولكنني اسعى لتثبيت حقيقة تاريخية ، ومستقبلية في الوقت نفسه ، وان ذكرها ونبّه عليها غير واحد ممن تقدمني في هذا[٢٤] .

لقد قدر لهذه اللغة ان تكون لغة اخر كتاب سماوي يخاطب اهل الارض ، فتناول علماء العربية لغة العرب بشيء كثير من الحيطة والتثبت ، لصلتها بالقرآن[٢٥] ، وكأن هذه اللغة دين ينبغي ان يعرفوا من اين ياخذونه ، فلقد كان المسموع عن العرب هو الاساس الاول الذي اعتمدوه في جمع اللغة وتدوينها ،

ولذلك وجدناهم يتحرجون كثيرا في اخذ اللغة حتى قال قائلهم . "فليتحر اخذ اللغة وغيرها من العلوم اهل الامانة والثقة والصدق والعدالة ...[٢٦] . واستطاعوا بتثبتهم هذا وتحريهم الدقة والامانة ان يدونوا لغة العرب كما هي الى حد كبير .

لقد اتجه العلماء الى دراسة العربية ، وتدوينها ، وحفظ قواعدها ، كي تصان لغة القرآن من اللحن والخطأ والزلل الذي قد يفضي الى اختلاف المعنى . وقد نزل القرآن الكريم باللغة التي كان القرشيون يألفونها في اعلى السنتهم فصاحة وبيانا ، وقد قراء رجل بين يدي عمر ، رضي الله عنه : (عتى حين)[٢٧] وهي لهجة هذيل في (حتى) ، فسأله : من أقرأك هذا ؟ قال : ابن مسعود . فبعث اليه برسالة جاء

---

(٢٤) انظر مثلا تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي : د . شوقي ضيف ، ط ٢ ص ٣٢ ، والتطور اللغوي : د . رمضان عبدالتواب ، ط ١ المدني ١٩٨١م ص ٧ ، ونظرية النحو القراني ، د . احمد مكي الانصاري ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٧٤م ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢٥) انظر القرآن واللهجات العربية : د . حسام سعيد النعيمي ، مقال في كتاب رحلة في الفكر والتراث ، ط جامعة بغداد ١٩٨٠م ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٩ .

(٢٦) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ـ احمد بن فارس ، تحقيق : مصطفى الشويمي ، ط أ . بدران ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م ، ص ٦٣ .

(٢٧) قوله تعالى : (حتى حين) ورد في ست آيات على ما احصاه في المعجم المفهرس : الآية ٣٤ من سورة يوسف . الآيتان ٢٥ ، ٥٤ من سورة المؤمنون ، الآيتان ١٧٤ ، ١٧٨ من سورة الصافات ، الآية ٤٣ من سورة الذاريات . وانظر المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضعه : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط الشعب سنة ١٣٧٨هـ مادة (حين) ، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

فيها : "ان الله عز وجل انزل هذا القرآن ، فجعله عربيا ، فانزله بلغة قريش ، فاقرىء الناس بلغة قريش ، ولاتقرئهم بلغة هذيل ، والسلام.[٢٨]

لقد تحولت العربية من لغة جنس بعينه الى لغة عقيدة تضم كل الاجناس ، فعكف على دراستها والعناية بها علماء المسلمين من غير العرب ومن العرب ، فوصفوها ، واستنبطوا من خلال الدراسة الوصفية قواعدها التركيبية والصرفية والصوتية منذ تنزل القرآن ، وقبيل ذلك وبعده الى حدود سنة خمسين ومئة للهجرة ، وبينوا ان الذي يريد ان يتكلم العربية ، فهذه اصواتها ، وهذا نظمها وتأليفها .

وهكذا وصل الينا وصف دقيق لاصوات العربية في "العين" و "الكتاب" وهما من اوائل ماوصل الينا في هذا الباب ان لم نقل اول ما وصل الينا فيه . وبهذا سلكت العربية في تطورها سبيلين :

الاولى : على السن الناس في بيوتها واسواقها ومتاجرها ، وهي الطريق التي كانت ستسلكها مثل اية لغة في العالم ، لو لم تتحول الى لغة عقيدة ، فتطورت اصواتها التطور الطبيعي ، وتداخلت مع غيرها من اصوات اللغات المختلطة بها ؛ وابتعدت تدريجيا عن اللغة العربية يوم درسها العلماء واستنبطوا قواعدها .

الثانية : ماكان على السن الادباء والشعراء والعلماء حيث تطورت في اطار ثبات اصولها ، فصار العربي وغير العربي يتعلمها ويجتهد في ان يطوّع لسانه للنطق الصحيح المتفق مع ما استنبطه العلماء من اصولها ، وهي اللغة التي حفظت لنا

علوم اربعة عشر قرنا وادابها ، ومشاعر ارباب الاقلام فيها وافكارهم ، وهي اللغة التي نتحدث بها اليوم في الفصيح ونكتب .

---

(٢٨) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ـ لابن جني . تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبه . ط القاهرة ١٣٨٦هـ ، ١/ ٣٤٣ ، وانظر اعجاز القرآن ـ للرافعي ط ٩ سنة ١٣٩٣هـ . ص٣٨ . ٦٢ . والعصر الاسلامي د . شوقي ضيف ، ص٣١ .

ابعاد المشكل الصوتي المعاصر :

ترى هل سلمت اصوات اللغة الادبية من تأثيرات تلك التي سلكت السبيل الاولى ، وخضعت لعوامل التطور الطبيعي ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال تدعونا لحصر الموضوع في ثلاثة ابعاد : البعد العلمي او الدراسي ، والبعد الواقعي ، والبعد المستقبلي . وسنقف بحثنا في هذا الفصل على البعد العلمي . اما البعد الواقعي والمستقبلي فلهما حديث اخر يرد في الفصل الثاني .

البعد العلمي (الدراسي) :

درس علماء العربية اصواتها ونقلوا لنا وصفها ، واول ما وصل الينا من ذلك كما تقدم ماجاء في مقدمة "كتاب العين" للخليل ، على خلاف في نسبته كاملا ، وما جاء في كتاب سيبويه ، وبقي هذا الوصف لمخارج الحروف وصفاتها وتعاملها ينقل في كتب العربية الى ايامنا هذه . ولما بدأت الدراسات الصوتية الحديثة تفيد من الاجهزة وصور الاشعة في تحديد المخارج وبيان الصفات ، رأينا اختلافا ظاهرا في عدد من الحروف بين ماقاله علماء العربية ، وما وصل اليه المحدثون . الا ان هذا الخلاف لايتناول حقيقة الاصوات المختلف فيها ، وان حمله بعضهم على ذلك كما سيأتي ، وانما يتناول الكلام على تعيين مخرج الحرف او صفته ، فحقيقة الالف مثلا واحدة عند الفريقين ، وهي هذا الصوت الواقع بين القاف واللام في "قال" مثلا ، الا ان سيبويه جعل مخرجه من الحلق ، وقالت الدراسة الحديثة غير ذلك كما سيأتي تفصيلاً ، فصوت الالف اليوم هو صوته حين وصفه علماء العربية الا ان الكلام على مخرجه هو الذي تغير ، ولذا جعلنا ذلك في باب البعد العلمي او الدراسي ، وما قيل عن الالف ، يقال كما ارى عن موقع القاف من الخاء والغين ، ومخرج الواو . وفي الصفات جعل علماء العربية القاف والطاء في الاصوات المجهورة ، وهما في المهموسة عند المحدثين ، ولاشك في ان الصوت الذي ينتقل مخرجه او يتغير من المجهور الى المهموس ، يكون قد تحول عن صورته الاولى التي كان عليها الى صورة جديدة ، فلا يمكن ان يقال ان الصوت بقي هو هو ، فما معنى جعلنا ذلك من باب الاختلاف العلمي ؟ انني آمل ان تكون الاسطر الاتية موفية في الاجابة عن هذا السؤال .

الالف :

حينما تكلم سيبويه على مخارج الحروف[٢٩] ، لم يبين المراد بالمخرج ، وكأنه اكتفى بما توحيه اللفظة في معناها اللغوي اذا اضيفت الى الحرف . وقد ذكر ابن جني ، وهو يقرب للقارىء المراد بمخارج الحروف وكيف تختلف اصواتها ، ان بعضهم شبه الحلق والفم بالنّاي[٣٠] . ولم يذكر لنا من هذا الذي شبه جهاز النطق الانساني بالناي ، وليته فعل ، وقد شبهه ابن جني بالعود في الموضع نفسه حيث قال : (ونظير ذلك وتر العود ، فان الضارب اذا ضربه ، وهو مرسل سمعت له صوتا ، فان حصر اخر الوتر ببعض اصابع يسراه ، ادى صوتا اخر ، فان ادناها قليلا ، سمعت غير الاثنين . ثم كذلك كلما ادنى اصبعه من اول الوتر تشكلت لك اصداء مختلفة ، الا ان الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غير محصور ، تجده بالاضافة الى ما اداه وهو مضغوط محصور املس مهتزا ، ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته ، وضعفه ورخاوته . فالوتر في هذا التمثيل كالحلق والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من اقصى الحلق . وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الالف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالاصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الاصوات هناك كاختلافها هنا[٣١] .

فمخرج الحرف على هذا حيث يتم حصر الصوت أو ضغطه . وكان قد بين في موضع سابق أن الصوت عرض ، يصحب النفس ويجري معه . فاذا وجد في طريقه عقبة تعوق استمراره كان موضع تلك العقبة مولد الحرف ، قال : "اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع اينما عرض له حرفاً[٣٢] .

ويفهم من هذين النصين أن الصوت عنده موجود قبل أن يصل الهواء الى موضع الضغط أو الحصر ، بل انه نص على أن اول الصوت من اقصى الحلق . وفي

---

(٢٩) الكتاب ٢/ ٤٠٥ .

(٣١) سر صناعة الاعراب ـ لابن جني ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط مصطفى الحلبي ، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤م ، ١/ ٩ .

(٣١) نفسه ١ : ٩ ـ ١٠ .

(٣٢) سر صناعة الاعراب ـ لابن جني ١ : ٦ .

هذا اشارة واضحة الى احساسه بأثر الوترين الصوتيين ، فالصوت الذي يحس أثره في الوترين الصوتيين وليس له في جهاز النطق مقطع ، هو الالف . وقد اتفق المحدثون على أن اهتزاز الوترين الصوتيين يؤثر في صفة الحرف لا في مخرجه . وإن الالف صائت مجهور يحدث نتيجة اندفاع الهواء في مجراه المستمر خلال الحلق والفم من غير أن يعترضه مقطع يثنيه أو يضيق مجراه[٣٣] ، وانه حيث يكون ضيق في مجرى النفس أو انطباق يكون مخرج الحرف[٣٤] .

وعلى هذا يمكن أن نقول ان الالف بناء على الدرس الصوتي الحديث هواء مجهور أو نفس مجهور ، ذلك أننا لا نستطيع أن نقول : في هذه النقطة من جهاز الصوت يضيق مجرى النفس محدثاً صوت الالف ، كما يمكن ان نقول ذلك عن أي حرف آخر من حروف العربية . ومنها الياء والواو اختا الالف في الامتداد واللين . وقد تنبه لهذا الاختلاف علماء العربية ، ومنهم ابن جني حيث قال : "إلا ان الصوت الذي يجرى في الالف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو ... اما الالف ، فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر . واما الياء فتجد معها الاضراس سفلاً وعلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته ، وتفاجّ الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعداً هناك .. واما الواو ، فتضم لها معظم شفتيك ، وتدع بينهما بعض الإنفراج ، ليخرج فيه النفس ، ويتصل الصوت فلّما اختلفت اشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الاحرف الثلاثة ، اختلف الصدى المنبعث من الصدر ، وذلك قولك في الالف أا ، وفي الياء إي ، وفي الواو أو)[٣٥] .

وقد نص الداني على أن الالف كالنفس وانه صوت في الهواء ، فقال : (وهو حرف هاوٍ مجهور ، لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم ، كالنفس ، وانما هو صوت في الهواء)[٣٦] .

فالالف لولا مايصحبها من اهتزاز الوترين الصوتيين تكون هواء لا صوتا ، وموضع هذا الاهتزاز هو الذي جعله ابن جني مخرجاً للالف ، لأن الصوت الخارج من أقصى الحلق (الوترين) لم يجد له مقطعاً في الحلق أو الفم أو الشفتين ، فرجع

---

(٣٣) انظر علم اللغة . مقدمة للقرايء ، د . محمود السعران ١٩٦٢م ، ص٢٦ .
(٣٤) انظر الاصوات اللغوية ـ د . ابراهيم انيس ، ط٥ ، ١٩٧٩م ، ص٢٣ .

(٣٥) سر الصناعة ١/ ٨ ـ ٩ .
(٣٦) التحديد في الاتقان والتجويد لابي عمرو الداني تحقيق د . غانم قدوري حمد ط١ ١٩٨٨م ص١٢٢ .

الى مخرج الهمزة لينقطع هناك " ... استمر الصوت ممتداً حتى ينفد فيفضي حسيرا الى مخرج الهمزة فينقطع بالضرورة عندها اذ لم يجد منقطعاً فيما فوقها"(٣٧) .

وهكذا نجد تقارباً كبيراً في ادراك حقيقة الالف بين القدامى والمحدثين ، على مابينهم من اختلاف في المصطلح . وحينما نسعى لتقريب الامر نقول : ان الالف عند المحدثين نفس مجهور ، أو هواء مجهور ، وقريب من هذا كلام الداني المذكور آنفاً ، وموضع الجهر هو الوتران الصوتيان ، فالالف تولد بالصفة على هذا لا بالمخرج ، لأن الهواء المجهور بعد تجاوزه الوترين اللذين أوجدا فيه صفة الجهر باهتزازهما حين يعوقه طرف اللسان ، وقد اتصل باصول الثنايا ، ثم ينفصل عن ذلك الموضع فجأة يسمعنا صوت الدال ، فها هنا اذن مخرج الدال ، وحين يقترب طرف اللسان من اطراف الثنايا العليا بحيث يسمح للهواء المجهور بالمر . بينهما محدثاً احتكاكاً مسموعاً يكون صوت الذال ، فاذا انطلق الهواء المجهور من غير انطباق في جهاز الصوت أو اقتراب كان صوت الالف .

والقول بولادة الالف بالصفة لا بالمخرج يفسر ما قاله علماء العربية من أن مخرج الالف من اقصى الحلق — حيث الوتران الصوتيان — ذلك انهم أحسوا ولادتها في هذا الموضع ، ولم يكونوا على علم بالوترين واثرهما في صفة الصوت فحسبوه أثراً في المخرج . واذا مضينا أبعد من ذلك ، وقلنا إن مخرج الحرف انما هو حيث يولد ، كان كلامهم في غاية الدقة ، لأن ولادة الالف انما تكون في الوترين باهتزازهما .

الالف والفتحة :

يندرج تحت مبحث الالف ايضاً الحديث عن كون الالف فتحة مشبعة أو كون الفتحة الفاً مختلسة . قال سيبويه : "وانما الحركات من الالف والياء والواو"(٣٨) ، وقال ابن جني : "إن الالف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة . يؤكد ذلك عندك أيضاً أن العرب ربما احتاجت في اقامة الوزن الى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت ، فتشبع الفتحة ، فيتولد من بعدها الالف"(٣٩) . وقال في موضع آخر : "وانشدنا ابو علي لابن هرمة يرثي ابنه :

---

(٣٧) نفسه ١/ ٨ .

(٣٨) الكتاب ٢/ ٢٥٢ .

(٣٩) سر الصناعة ١/ ٢٧ .

وانت من الغوائل حين ترمى ومن ذمّ الرجال بمنتزاح

فاشبع فتحة الزاي[٤٠] .

وهذا الذي أوردناه عن سيبويه وابن جني ، وجرى عليه جمهور الدارسين للاصوات قديماً وحديثاً ، به حاجة الى وقفة قصيرة ، لبيان العلاقة بين الالف والفتحة في نطق العرب اليوم ، ونسارع الى القول اننا لاننكر كون الالف فتحة مشبعة ، أو كون الفتحة ألفا مختلسة ، ولكن الذي ننكره ان تكون الالف في كاتب مثلا هي من اشباع الفتحة في (كتب) كما ننطقها اليوم . وهذا بيان ما أوجزناه :

نلفظ كلمة (قُل) مثلا ، وهي مكونة من ق + ـُ + ل ، ثم نشبع الضمة التي بين القاف واللام ، أو قل : نمد الصوت بها فينشأ منها صوت الواو المدية ، ق + و + ل ، كما نسمع ذلك في لفظ (نقول) ، أو لفظ (قولاً) مثلا ، ومثل ذلك القول في الياء التي تنشأ من اشباع الكسرة ، كقولنا : (سِر) ، وهو مكون من س + ـِ + ر ، فاذا أشبعنا الكسرة ، او مددنا الصوت بالكسرة فسوف نسمع صوت س+ى+ر ، في نحو : (نسير) أو (سيراً) مثلا . ولو تأملنا العلاقة بين الكسرة والياء المدية ، أو بين الضمة والواو المدية ، لوجدنا بوضوح أن الثانية ناشئة من اطالة الصوت بالاولى . هكذا ننطق هذه الاصوات اليوم . ومعنى ذلك ان كلام علمائنا على انشاء الياء المدية من الكسرة ، والواو المدية من الضمة مازال قائماً في نطقنا اليوم ، مع ملاحظة واحدة ، لاأشك في أن القارىء قد تنبه اليها ، هي اننا لانزعم وجود حركة قبل حرف المد من جنسه ، آخذين بما عليه الدراسة الصوتية الحديثة في ذلك[٤١] . اما علماؤنا ، فانهم اذا تحدثوا عن الصوت البسيط قالوا : ان الالف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة . فاذا جاؤوا الى الصوت في التركيب ، قالوا : فتشبع الفتحة فيتولد (من بعدها) الالف ، كما اوردنا عن ابن جني في النص الذي نقلناه آنفاً . وليس هذا موضع مناقشة هذا الامر .

قلنا ان كلام علمائنا على انشاء الياء المدية من الكسرة ، والواو المدية من الضمة ، مازال قائماً في نطقنا اليوم ، بيد أننا لو جرّبنا مد الفتحة التي بين الكاف والتاء التي في (كَتَبَ) لحصلنا على الف ، هي على وجه اليقين غير الالف التي

(٤٠) نفسه ١/ ٢٩ .

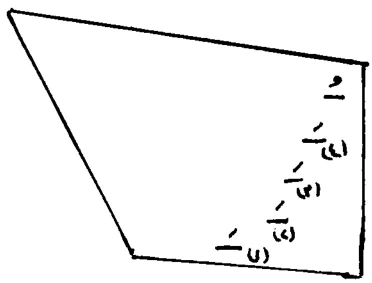
(٤١) انظر مثلا الاصوات اللغوية . ص٣٩ . والمنهج الصوتي للبنية العربية ، د . عبدالصبور شاهين ، ط بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م . ص١٨ .

نلفظها بين الكاف والتاء في (كاتب) . ويمكن ان يلمس ذلك بوضوح عند نطق صوت ك + ـُ ، وصوت ك + ـِ ، وصوت ك + ـَ ، باختلاس ثم باشباع كُ ، كو ، وكِ ، كي ، وكَ ، كا . وهذا يعني احد امرين :

الاول : أن تكون الفتحة التي نلفظها اليوم قد تقدمت قليلا الى الامام ، وبقيت الالف اشباعاً لفتحة متأخرة .

الثاني : ان تكون الالف قد رجعت الى الوراء ، فصارت اشباعاً لفتحة متأخرة لم تكن شائعة يوم وصفت أصوات العربية ، وان الفتحة التي نلفظها اليوم هي الفتحة القديمة ، اي ان موقع الفتحة الحالية هو موقعها القديم .

والذي ترجح عندنا الاحتمال الثاني اي ان صوت الالف قد تغير عما كان عليه في لسان جمهور العرب قديما ، الا الحجازيين ، وذلك بان دخله في نطقنا اليوم بعض التفخيم الذي كانت عليه لهجة اهل الحجاز كما سيأتي . وهذه مصورة موقع الفتحة والألف على مدرج اصوات اللين :[١]



فالحركة الامامية الضيقة هي الكسرة . فاذا مد الصوت بها صارت ياء مدّية والحركة الخلفية الضيقة هي الضمة . واذا مد الصوت بها صارت واوا مدّية ، والحركة الوسطية المفتوحة هي الفتحة كما نلفظها بعد الكاف والتاء والباء في (كتب) وكلمة وسطية فيها تسامح ، والا فهي اقرب الى الخلف اي الى جهة الضمة[٤٢] ، وهي التي وضعنا تحتها للتمييز رقم (١) . اما التي وضعنا تحتها رقم

---

(٤٢) انظر التصريف العربي من خلال علم الاصوات الحديث ـ الطيب البكوش ، ط تونس ١٩٧٣ م ، ص٤٨ .

(٢) فهي الفتحة المفخمة قليلا التي ينشأ من مد الصوت بها الالف التي تجرى على السنتنا اليوم ، والتي جعلنا تحتها رقم (٣). هي الفتحة التي تنشأ عنها الالف المفخمة كثيرا وهي الالف التي نسمعها من كثير من العانيين في العراق ، في نحو قولهم : (قال ، وعانه) ، والتي جعلنا تحتها رقم (٤) هي التي تنشأ عنها الالف المبالغ في تفخيمها وذلك مانسمعه من بعض الاعاجم في قولهم : "السلام عليكم" "عليه السلام" .

والذي جعلنا نميل الى القول برجوع الالف ، كلام علمائنا على وصف وضع جهاز النطق عند اصدار الالف من القدامى والمحدثين ،، قال ابن جني : "تجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط او حصر" [٤٣] ويقول بعض المحدثين : "الالف ليس لها في الحقيقة نقطة انتاج معينة على طول مجرى الهواء ، لان اللسان يكون معها في واقع الامر في وضع اراحة ، اي ممتدا في قاع الفم[٤٤] واللسان عندما يكون في هذا الوضع تنتج الفتحة التي نسمعها في مثل "كاتب" ، فاذا ارتفع اقصى اللسان قليلا عند النطق بالفتحة دخلها من التفخيم او من صوت الواو بمقدار ذلك الارتفاع ، والالف التي في مثل "كاتب" يرتفع معها اقصى اللسان بدرجة قليلة جداً ، ولذا كانت افخم في السمع من الالف التي تنشأ من اشباع الصوت بفتحة الكاف في "كتب" . وقد ذكر سيبويه الفا مفخمة نسبها الى اهل الحجاز ، قال : وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع ... يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والاشعار وهي .. والف التفخيم يعني بلغة اهل الحجاز في قولهم : الصلاة والزكاة والحياة .." [٤٥] . وتفخيم الالف عند الحجازيين يعني دخول صوت الواو او الضمة الخلفية في الالف او الفتحة وقد كان ذلك سببا كما يرى بعض العلماء في كتابة هذه الكلمات بالواو في "المصحف" . قال مكي بن ابي طالب :"الالف المفخمة وهي الالف يخالط لفظها تفخيم يقربها من لفظ الواو ... وذلك فاش في لغة اهل الحجاز .. وقال بعض النحويين : ولذلك كتبت الصلوة بالواو على لغة الذين فخموا الالف"[٤٦] ولانملك دليلاً يقطع بان الفنا اليوم هي الالف الحجازية ذلك ان الانسان يمكن ان ينطق من اصوات اللين مايجاوز الخمسين[٤٧] ولكنه الظن الذي يرجحه ماقدمناه .

---

(٤٣) سر الصناعة ١/ ٢٧ .

(٤٤) دراسة الصوت اللغوي – د . احمد مختار عمر . ط الكويت . ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م . ص٢٩٧ .

(٤٥) الكتاب ٢/ ٤٠٤ .

(٤٦) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة – مكي بن ابي طالب – تحقيق د . احمد حسن فرحات . ط دمشق . ١٩٧٣م . ص٨٦ . وانظر تعليلات رسم الالف واواً في رسم المصحف – غانم قدوري حمد – بغداد ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ص٢٣٠ – ٢٣٧ .

(٤٧) الاصوات اللغوية . ص٣٦ .

الواو :

الواو كما ذكر الدكتور السعران حرف شفوي – حنكي قصي[٤٨] ، وذلك ان اخراجها يتم بارتفاع اللسان نحو الحنك الاعلى ، وتسهم الشفتان باستدارتها في اخراجها امام القدامى فهي عندهم كما ذكر سيبويه وتابعه علماء العربية من الحروف الشفوية ''وما بين الشفتين مخرج الباء ، والميم والواو''[٤٩] ويبدو ان علماء العربية قد شغلهم وضع الشفتين في النطق بالواو عن تحسس موضع اللسان من الحنك الاعلى. ''ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو ، هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو الى الشفتين''[٥٠] واعانهم على ذلك ان اللسان لايقترب بصورة واضحة من الحنك عند النطق بها ، كوضوح استدارة الشفتين[٥١] زد على ذلك ان علماء العربية الفوا الاشارة الى موضوع واحد عند كلامهم على مخارج الحروف هو الموضع الاظهر . فالطاء مثلا من حروف النطع ، مع ان وسط اللسان عند النطق به يرتفع نحو الغار ، وهو امر احسه العلماء ، ولذا قالوا في الطاء انها طبقية لارتفاع وسط اللسان نحو طبق الفم عند اخراجها ، الا انهم مع ذلك لم يقولوا ان مخرجها يكون باتصال اول اللسان باصول الثنايا مع ارتفاع وسطه نحو الطبق فهي طبقية نطعية بل اكتفوا في حديث المخارج بالاشارة الى انها نطعية ، وذكروا انها مطبقة في الصفات[٥٢] ، فوصف الواو بانها شفوية متفق مع منهجهم العام في الكلام على مخارج الحروف . الا ان الذي نميل اليه في هذا وما اشبهه ان يثبت الوصف كاملا ، مختصراً كما قيل في الواو انها شفوية حنكية قصية ، او مفصلا كما قيل في وصف الواو ايضا ، انها تنتج عن طريق رفع مؤخر اللسان في اتجاه منطقة الطبق اللين ، ولكن مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء دون احتكاك مسموع يصاحب ذلك استدارة الشفتين وامتدادها للامام ... مع اهتزاز الوترين الصوتيين[٥٣] ، المهم اننا لانكتفي في وصف الواو بالقول انها شفوية او بالقول انها حنكية قصية ، وقد ذكر بعض المحدثين ان وصف الواو بانها شفوية ليس خطأ ، لان الشفتين لهما دخل

---

(٤٨) علم اللغة ، ص١٩٨ .

(٤٩) الكتاب ٢/ ٤٠٥ .

(٥٠) الاصوات اللغوية ، ص٤٣ .

(٥١) انظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص٣١١ .

(٥٢) انظر الرعاية ص٩٨ ، ١١٤ ، ١٧٢ .

(٥٣) انظر : دراسة الصوت اللغوي ، ص٢٧٢ – ٢٧٤ .

كبير في نطقهما ، ولكن الوصف الدقيق لها ان يقال : انها من اقصى الحنك لان اللسان يقترب من هذا الوضع عند نطقه بالواو[٥٤] . ونرى انه بما اقترحه من قصور الوصف، على اقصى الحنك يقع فيما وقع فيه علماؤنا من افراد الوصف بعد ان اقر ان الشفتين لهما دخل كبير في اخراجهما ، ثم أغفل ذكرهما ، كما أغفل القدامى ذكر اقصى الحنك ، والصواب كما قدمنا الجمع بين الوصفين على ماذهب اليه غير واحد من المحدثين[٥٥] .

الغين والخاء :

جعل بعض المحدثين مخارج الحروف في العربية عشرة ، منها :
"... ٧، ـ طبقي : وهو مانتج عن اتصال مؤخر اللسان بالطبق ، وهو الجزء الرخو الذي في مؤخرة سقف الفم ..
٨ ـ لهوى : وهو ما اتصل فيه مؤخر اللسان باللهاة ، وهي اخر جزء في مؤخر الطبق .
٩ ـ حلقي : ونقصد به المخرج الناتج من تضييق الحلق ... فهو مابين الحنجرة وبين جذر اللسان .
١٠ ـ حنجرى : وهو نتيجة الاقفال او التضييق في الاوتار الصوتية ..."[٥٦]
وحين تحدث عن مخرج الغين قال : (وهذا صوت طبقي رخو مجهور ...)[٥٧] ، اما الخاء فهو النظير المهموس للغين ، اي انه لايختلف في اخراجه عن الغين ، الا في انه لايصحبه اهتزاز الوترين الصوتيين . وحين تحدث عن مخرج القاف قال : "وهذا صوت ، لهوي شديد مهموس ..."[٥٨] ومعنى ذلك ان القاف عنده اقرب الى الحلق من الغين والخاء . ذلك ان اللهوى عنده يقع بين الطبقي والحلقي .. ولما اراد ان يعتذر لعلماء العربية ، اذ وصفوا الغين والخاء بانهما حلقيان ، ذكر انه "اذا كان فهمهم للاصطلاح ـ يعني اصطلاح الحلق ـ اوسع من فهمنا له حتى يشمل مابين مؤخر اللسان والطبق فلا داعي للقول بخطئهم"[٥٩] .

---

(٥٤) انظر : علم اللغة العام ـ الاصوات . د . كمال محمد بشر ١٩٧٣م ، ص٨٩ .
(٥٥) انظر مثلا : الاصوات اللغوية ص٤٣ ، وعلم اللغة للسعران ص ١٩٨ ، مناهج البحث في اللغة ـ د . تمام حسان . ط الدار البيضاء ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠م ص١٣٥ .
(٥٦) مناهج البحث في اللغة ص١١٠ ـ ١١١ .
(٥٧) نفسه ص١٢٩ .
(٥٨) نفسه ص١٢٤ .
(٥٩) نفسه ص١٣٠ .

وفاته انه سيشكل عليه حينئذ ان يعلل اخراجهم القاف من حروف الحلق ، وهي بين هذه وتلك ، وذلك انه اذا اتسع المصطلح عندهم للمنطقة الممتدة من الحنجرة الى مؤخر اللسان مع مايليه من سقف الفم ، فلاشك في ان موضع القاف وهو لهوى داخل في ذلك ، ومع هذا لم يقولوا ان القاف حلقي ، ولذا لم يبق الا القول الاول الذي قدمه ، وهو انه ''اذا كان مفهوم هذا الاصطلاح في اذهانهم مطابقا لما نفهمه نحن الان فهم ولاشك مخطئون في القول بان صوت الغين يخرج من الحلق''(٦٠) .

وذهب آخر من المحدثين الى مثل هذا ايضاً(٦١) حيث ذكر ان القاف ادنى الى الحلق من الغين والخاء ، واعتذر لعلماء العربية بانهم اما ان يكونوا أخطأوا في تعيين موضع القاف ، واما انهم وصفوا صوتا اخر كان شائعا في زمانهم للقاف غير الذي نستعمله الان ، وقد ناقشنا هذين الاحتمالين في غير هذا الموضع(٦٢) ، وانتهينا الى ان ''الغين والخاء يمكن ان ينطقا من اللهاة قريبين من موضع القاف ، وهو ماعليه نطقنا اليوم ، ويكونان بعيدها او قبيلها كلاهما ممكن مما يؤدي الى الاشتباه في تعيين المخرج''(٦٣) وهذا الذي جعل اكثر المحدثين يوافقون القدماء على تحديد مخرج الخاء والغين من الحلق والقاف من اللهاة(٦٤)'' ويمكن ان يخلص نطقهما من ادنى الحلق في موضع اعمق من موضع القاف ، وحينئذ لامجال للبس في تعيين الموضع ، ويكونان حينئذ افخم منهما في نطقنا اليوم ، وهو الصوت الذي ارى ان العرب كانوا عليه حين وصفت الحروف ، يقوى ذلك ماذكروه من ان النون تنطق: نوناً خالصة مظهرة لاتشوبها شائبة الاخفاء او الادغام الا مع حروف الحلق الستة الهمزة ، والهاء ، والحاء ، والعين ، والخاء ، والغين . ولو حاولنا اخفاءها مع الهمزة او الهاء او الحاء او العين لما امكننا ذلك ، بمعنى انه ليس من الاصوات المألوفة في القراءة اليوم ، فلانقرأ : ''من اتى'' بالاخفاء مثلا ، كما نخفي في : ''من جاء'' ، و ''من كان'' ولكننا الفنا الاخفاء مع الخاء والغين كما نلفظهما

(٦٠) نفسه ص١٢٩ – ١٣٠ .
(٦١) علم اللغة العام – الاصوات – ص١٠٩ – ١١٠ .
(٦٢) انظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص٣٠٥ – ٣٠٧ .
(٦٣) نفسه ص٣٠٧ .
(٦٤) انظر مثلا التطور النحوي – للغة العربية – براجشتراسير ، نشرة د . رمضان عبدالتواب الرياض ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ص١١ ، ١٢ . والاصوات اللغوية ص ٨٨ ومحاضرات في اللغة – د . عبدالرحمن ايوب ط بغداد ١٩٦٦م ص٩٨ ودروس في علم اصوات العربية – جان كانتينو – تعريب صالح القرمادي – تونس ١٩٦٦ ، ص٣٢ .

اليوم فنقول من غادر ، أو من خالف بالاخفاء فيها . ولو رددناها الى ادنى الحلق وراء موضع القاف ، ماوجدنا الاخفاء ، معها سائغا . ولعل هذا الاختلاف في موضع اخراج هذين الحرفين هو الذي جعل بعض القراء يخفي معها وان كان جمهورهم لايرونها من حروف الاخفاء...''(٦٥) .

وقد اشار سيبويه الى شدة القرب بين الخاء والغين والقاف حين قال وهو يتكلم على الخاء والغين : '' وهما من حروف الحلق بمنزلة القاف من حروف الفم ، وقربها من الفم كقرب القاف من الحلق''(٦٦) .

اما ماقيل من تغير صوت القاف ، وان علماء العربية وصفوا صوتا اخر فلا ارى ابلغ في نقضه من قول سيبويه : (انك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت : قق قق ، لم تر ذلك مخلا بالقاف ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان اخل ذلك بهن:(٦٧) فهذه تجربة يمكن ان يجربها اي انسان ، ويرى ان القاف هي التي وصفها سيبويه وليست كافا مجهورة ، او غير ذلك .

القاف والطاء :

اول من اثار مشكلة الاختلاف في صفة القاف والطاء بين الجهر والهمس ، على مانعلم المستشرق الالماني براجستراسر ، في محاضراته التي القاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٢٩ م ونشرت في السنة نفسها بعنوان ''التطور النحوي للغة العربية'' . وقد اعاد نشرها الدكتور رمضان عبدالتواب عام ١٩٨٢ في الرياض ، والى هذه النشرة ستكون احالاتنا على الكتاب وقد عمل المؤلف جدولا للاصوات العربية(٦٨) ، على ماوصفه علماء العربية ، وردت فيه القاف والطاء تحت صفة الجهر والشدة . ثم قال : ''ونفهم من الجدول والصفات المذكورة بعده ومن جدول المخارج ، ان بعض الحروف يختلف نطقه الحالي عنه في الزمان القديم ، وهي : ق ، ج ، ط ، ض ، ظ . اما القاف فهي في العادة اليوم مهموسة لكنها في الجدول مجهورة ، كما هي الآن عند بعض البدو . والطاء ايضاً مهموسة اليوم ، مجهورة في

---

(٦٥) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٣٠٧ .

(٦٦) الكتاب ٢/ ٤٢٨ .

(٦٧) الكتاب ٢/ ٤٢٧ .

(٦٨) التطور النحوي . ص١٥ .

الجدول ، والفرق بينها وبين القاف أن نطق القاف لايزال باقيا في بعض الجهات ، ونطق الطاء العتيق قد انمحى وتلاشى تماماً''[٦٩] . وقد عقب د . رمضان عبد

التواب على العبارة الاخيرة في الحاشية بقوله : ''لابل يسمع بوضوح في بعض جهات اليمن'' ، واستشهد بما قاله المستشرق أ . شاده في محاضرته : ''علم الاصوات عند سيبويه وعندنا'' والذي يتجه لي في هذا ان''براجستراسر'' اراد بالقاف العتيقة المجهورة التي سمعها من بعض البدو الكاف المجهورة ، اي صوت (گ) ، اذ لانشك في انه كان يسمع القاف في قول المصريين : القاهرة ، وكذلك مايلفظه قراء القرآن في مصر ، وهذه هي القاف التي ترجح لدينا انها القاف العربية القديمة ، لانه لايتصور ان يجمع قراء القران في كل بلاد الاسلام على هذا الصوت ، وهم يتلقون القراءة مشافهة من جيل الى جيل ، ثم نزعم انه ليس الصوت القديم مع ان الكلمات التي بالقاف تلفظ في لهجاتهم المحلية لفظا مختلفا ، فالقاف في اول ''قال'' مثلا ، تصبح همزة عند المصري وكافا عند الفلسطيني ، وكافا مجهورة عند العراقي ، وهي بالصوت الفصيح عندهم جميعا اذا كانوا يقرأون القرآن ، او اي نص فصيح اخر ، كما نذكر هنا بالتجربة التي اوردها سيبويه في نطق القاف ، وذكرناها آنفا ، فأنت اذا فتحت فمك باوسع مايمكن ، ثم حاولت نطق القاف الفصيحة ، امكنك ذلك فتقول : قق قق ، ولاتجد ذلك مخلا بالصوت ولكنك لو حاولت ذلك مع الكاف المجهورة ، وهي القاف البدوية التي اشار اليها براجسترسر'' لم تستطع الاتيان بها .

اما الطاء ، فلاشك في ان مشكلتها اعقد من القاف قليلا اذ ليست هناك تجربة لنطقها تجعلها منفردة ، ويصح الاستدلال بها . اما هذه الطاء المجهورة التي اشار الى وجودها ''شاده'' كما ذكرنا قبل قليل ، وكذلك ماذكره ''كانتينو'' من وجود الطاء المجهورة في بعض لهجات اليمن ، وكذلك في بعض اللهجات العربية شرقي ''بحيرة تشاد''[٧٠] فهي دال مطبقة ، وهي بالضاد المصرية اشبه ، ان لم تكن هي هي ، وقد سمعت بعض اهل ''الصومال'' ينطق هذا الصوت فطلبت اليه ان يقرأ هذه الكلمات طاهر وظاهر ، وضارب ، فنطق الصوت الاول منها جميعا بالضاد المصرية ! .

---

(٦٩) نفسه ص١٦ ــ ١٧ .

(٧٠) دروس في علم أصوات العربية ، ص٥٠ ــ ٥١ .

وهذا الذي اورده "براجسترسر" وتبعه فيه كل الذين تحدثوا عن الهمس في القاف والطاء ، مبني على مصطلح الجهر والهمس عند المحدثين لاعند القدماء . فالمجهور عند المحدثين(٧١) هو الذي يصحبه صوت خارج من الحنجرة من اهتزاز الوترين الصوتيين ، والمهموس هو الذي ينعدم معه هذا الصوت .

واهتزاز الوترين وعدمه في تحديد الجهر والهمس في الحرف ، غير منظور اليه في هذين المصطلحين ، عند القدماء . وليس صحيحاً ان يحاكم القدماء على وفق المعنى الذي وضعناه لمصطلح وافقناهم فيه في لفظه وخالفناهم في معناه . بل الصواب ان ننظر في مرادهم من المصطلح ، ثم نرى اكانوا على صواب فيما وصفوه ام لا .

المجهور عند القدماء على ماذكر سيبويه : "حرف اشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت ..."، واما المهموس فحرف اضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه . وانت تعرف ذلك اذا اعتبرت فرددت الحرف مع جرى النفس ، ولو اردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه" (٧٢) . فضابط الجهر والهمس عند سيبويه جرى النفس مع الحرف او عدمه ، وعلى هذا جمهور علماء العربية . وقد نقل "د . ابراهيم انيس" من شرح السيرافي مايمكن ان يعين في جمع الجوانب المختلفة لتحديد ضابط الجهر والهمس ، فقد ذكر السيرافي ان الاخفش قال : "سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور ، فقال : المهموس اذا اخفيته ثم كررته ، امكنك ذلك ، واما المجهور ، فلايمكنك ذلك فيه ، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه واخفى ، فقال : الاترى كيف يمكن وكرر الطاء والدال ، وهما من مخرج التاء فلم يمكن .."(٧٣) فاذا ضممنا الى هذا النص ماورد في تفسير المهموس من انه الذي يجري به النفس امكن ان نضع الضابط الاتي : لتمييز المهموس من المجهور اتبع الطريقة الاتية :

١ ـ اخفض صوتك بالحرف الى ادنى ماتستطيع ـ الاخفاء .
٢ ـ ردد الصوت بالحرف ـ التكرار ـ
٣ ـ اجر النفس وانت تقوم بهذه المحاولة ـ جري النفس .

فاذا سمع الصوت الذي يسمع اذا لفظ وحده بوضوح وبصوت مرتفع ، فالحرف ، مهموس ، اي اذا لم تؤد التجربة الى تحول صوت الحرف . فهو مهموس

---

(٧١) التطور النحوي ص١٣ .
(٧٢) الكتاب ٢/ ٤٠٥ .
(٧٣) الاصوات اللغوية ، ص١٢٠ .

اما اذا قمت بالتجربة لنطق حرف معين ، وادى خفض الصوت به وتكراره مع جري النفس الى سماع صوت اخر ، فالصوت الذي حاولت نطقه ، وتحول ، صوت مجهور . ولو جربت ذلك مع الثاء لسمعتها ثاء ، كما هي . ولو جربت ذلك مع الذال فسوف تسمعها ثاء ايضاً ، لا ذالا . وقد جربت ذلك مع الحروف المهموسة جميعا ، فامكنني ذلك ، وفهمها السامع ، وميز اصواتها . وجربته مع الطاء فسمعت تاء ، ومع القاف فسمعت خاء . اما الهمزة وهي الحرف الثالث الذي وصفه علماؤنا بالجهر ، وهو مهموس بضابط المحدثين لان الوترين لايهتزان معها ، فلايمكن اجراء النفس معها ابتداء ..، لانها تكون بانطباق الوترين انطباقا تاما . وهذه التجربة تثبت ان الطاء والقاف والهمزة لاينطبق عليها ضابط الهمس فهي اذن مجهورة بضابط القدماء ومعنى ذلك ايضا ان الصوت الشائع الفصيح اليوم للقاف والطاء هو الصوت القديم لهما ، وان اختلفنا مع القدماء في صفتها بناء على اختلاف المراد بالجهر والهمس ، وبهذا نكون قد قدمنا ثبات الصوتين بين يدي دعاوى تحول القاف عن الكاف المجهورة ، والطاء عن الضاد المصرية ، وهو ماسنفصل القول فيه فيما يأتي :

دعاوى التحول :

ذكر "برجستراسر" (٧٤) . كما اشرنا قبل قليل ، ان الطاء العتيقة قد انمحت وتلاشت تماما من اللسان العربي اليوم ، وان القاف ماتزال باقية عند بعض البدو ، على ان نطقها عند العرب عموما يختلف عما كان قديما ، وكذلك اختلف نطق العرب اليوم صوت الجيم ، اذ هي كما وصفها علماء العربية بسيطة مجهورة شديدة شجرية ، وهي عند المصريين بهذه الصفات الا ان مخرجها مخرج الكاف عندهم والجيم "هي ثالث الحروف التي لفظها العتيق غير لفظها الحاضر . واما رابعها وهي الضاد ، فهي الان شديدة عند اكثر اهل المدن ، وهي رخوة في الجدول ، كما هي الان عند اكثر البدو ، ومع ذلك فليس لفظها البدوي الحاضر نفس لفظها العتيق لان مخرج الضاد في جدول المخارج من حافة اللسان ... ونشأ نطق الضاد عند البدو من نطقها العتيق بتغير مخرجها من حافة اللسان الى طرفه ، ونطقها عند اهل المدن نشأ من هذا النطق البدوي باعماد طرف اللسان على الفك الاعلى بدل تقريبه منه فقط ، فصار الحرف بذلك في نطقه شديدا ، بعد ان كان رخوا .. اخر

(٧٤) انظر التطور النحوي ، ص١٦ ــ ٢٠ .

الحروف الخمسة ... الظاء ، وهي الان عند كثير من اهل المدن احد حروف الصفير وعند سائر العرب مثل ذال مطبقة وهذا هو نفس نطقها العتيق''(٧٥) .

وهذا الذي اورده برجستراسر عام ١٩٢٩ م كان منبها لمن كتب بعده فتكرر الكلام على هذه الحروف ومخالفتها النطق القديم ، ونريد قبل الخوض في الكلام على التحول الصوتي وتعليله وقبوله او رفضه ، ان نضع ضابطا للقول بالتحول او الثبات في اي صوت من الاصوات التي نبحثها ، وقد رأينا ان خير مايضبط اعطاء اليد بالتحول او عدمه ان ينظر في الصوت الذي ندرسه كيف ينطقه قراء القرآن الجيدون في قراءتهم ، وكيف ينطقون الصوت ذاته في لهجاتهم المحلية ، فان وجدناهم يتفقون على نطقه في قراءة القرآن ، وان اختلفوا فيه في لهجاتهم ، كان ذلك دليلا على ان النطق المجمع عليه نطق موروث بالتلقين والتلقي . وان وجدناهم يختلفون في نطقه في قراءة القرآن ، دل ذلك على تحول الصوت — ، ويكون النظر الى ذلك كله في ضوء ماأورده علماء العربية من وصف لمخارج الحروف وصفاتها .

اما القاف فاختلاف صفتها بين الجهر عند القدامى ، والهمس عند المحدثين جعلهم يذهبون الى انتقال المخرج ، وأنها في الاصل كانت كافا مجهورة (گ) ، اي انها رجعت الى الوراء قليلا من اقصى الحنك الصلب الى اللهاة ، وقد اورد د . ابراهيم انيس ''احتمالين لاصل القاف الفصيحة ، الاول : ان تكون نوعا من الغين ، الثاني : ان يكون صوت (گ) قال : ''تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة تطورا ذا شأن لانستطيع ان نؤكد كيف كان ينطق بها الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الاسلامية الاولى ، الا اننا نستطيع ان نستنتج من وصف القدماء لهذا الصوت انه ربما كان يشبه تلك القاف المجهورة التي نسمعها الان بين القبائل العربية في ''السودان'' وبعض القبائل في جنوب ''العراق'' . اذ نسمعها منهم نوعا من الغين .. ومن الممكن ان نفترض للقاف القديمة فرضا ربما كان اكثر احتمالا ، هو انها كانت تشبه الجيم القاهرية .. ويستأنس لهذا الرأي بنطق معظم البدو الان للقاف على هذا النحو ''(٧٦) .

والذي نراه بناء على الضابط الذي اوردناه قبل قليل ، ان الصوت لم يدخله تغيير في الفصيح . فالقاف حرف لهوى شديد ، وهو مجهور على وفق ضابط الجهر الذي وضعه القدماء وهو عدم جريات النفس عند اخفاء الحرف وترديده ، فقرآء

---

(٧٥) نفسه ص ١٨ — ١٩ .

(٧٦) الاصوات اللغوية . ص ٨٤ — ٨٥ .

القرآن ، اليوم مجمعون على نطق واحد ، على ان الصوت قد تقدم في لهجات بعضهم ، وتأخر في لهجات الاخرين ، وجاء مهموسا عند قوم ، مجهورا عند اخرين . فقد رجع صوت القاف الفصيحة الى الوراء كثيرا عند بعض المصريين حتى جاء مخرجه من الوترين الصوتيين بانطباقهما ، فصار همزة "قرب ـ ارب ، دقة ـ دأة ، يدق ـ يدأ " ، وتقدم عند بعض المصريين ـ اهل الصعيد مثلا ـ قليلا نحو الحنك الصلب ، فآل الى كاف مجهورة "قال ـ كال ، دقة ـ دكة ، يدق ـ يدكك" ، وهي كذلك عند اكثر العراقيين ، واهل الجزيرة والخليج . ومن هذا الموضع نفسه الا انها مهموسة عند أكثر الفلسطينين ، اي انها صارت كافا فصيحة "قال ـ كال ، دقة ـ دكة يدق ـ يدك" ، وبقيت في موضعها وعلى صفاتها التي ذكرها علماء العربية عند بعض العراقيين مثلا كما في لهجة اهل الموصل حيث بقي الصوت لهويا شديدا مجهورا بضابط القدماء للجهر ، ومع هذا الاختلاف نجد الجميع يتفقون على نطقها في قراءة القرآن بصورة واحدة ، وهي بالوصف الذي اورده علماء العربية ، فهذا دليل على ثبات الصوت في الفصيح ، وعدم تحوله ، فاذا انضاف الى ذلك التجربة التي ذكرها سيبويه ، واوردناها قبل قليل في نطق القاف كان ذلك ادعى الى الاطمئنان الى القول بثبات صوت القاف ، وهو ماينبغي ان نحافظ عليه في الفصيح ، سواء في قراءة القرآن الكريم ، او غيره .

وأما الطاء فاختلاف صفتها ايضاً بين الجهر عند القدماء والهمس عند المحدثين أدى الى القول باختلاف الصوت وتحوله . وقد ذهب براجستراسسر الى أن نطقها القديم "قد انمحى وتلاشى تماماً"(٧٧) واعترض د . رمضان عبد التواب على ذلك في الهامش قائلا : "لابل يسمع بوضوح في بعض جهات اليمن عند قولهم الضبيب والضباخ ، في الطبيب والطباخ ، وقد روى المستشرق "شادة" عنهم مضر وقضع في مطر وقطع "ومثل ذلك ماذكره كانتينو" من وجود الطاء المجهورة في لهجات اليمن حيث قال : " ان" أ . روسي "اثبت من جديد وجود دال مفخمة في لهجات اليمن تمثل الطاء القديمة .. ننتبه الى ماذكره "كانبمفهاير" من أن هناك في اللهجات العربية بالوادي شرقي بحيرة "التشاد" طاء تنطق نطقاً مجهوراً ، اي كالدال المفخمة(٧٨)" وهذا الذي اطلق عليه الطاء المجهورة ، هو نطق الطاء كالدال المفخمة ، كما ذكر "كانتينو" . وقد سمعت ذلك من بعض الطلبة في الدراسات العليا من الصومال وقد لفت نظري أنه ينطق الطاء والظاء والضاد

---

(٧٧) التطور النحوي

(٧٨) دروس في علم اصوات العربية ص ٥٠ ـ ٥١ .

بصوت واحد ، هو الدال المفخمة، أو الضاد المصرية ، فطلبت اليه أن يقرأ هذه الالفاظ "طلب ، ظلم ، ضرب" ، ولم يكن يدرك غرضي ، فقرأها : دِلب ، دِلم، دِرب ، بالضاد المصرية ، وهذا الخلط في الصوت يجعل الباحث يتردد كثيراً قبل أن يردد عبارة القطع بأن هذه الدال المفخمة ، هي الطاء القديمة . وقد استدل "د . ابراهيم أنيس" على ان الطاء القديمة كانت دالا مفخمة بكلمة أوردها سيبويه ، وبما يسمع من نطق اهل اليمن ، قال : "وليس من المحتمل ان يكون القدماء قد خلطوا في وصفهم بين صفتي الجهر والهمس فيما يتعلق بهذا الصوت ، ولكن الذي ارجحه أن صوت الطاء كما وصفها القدماء كان يشبه الضاد الحديثة لدى المصريين ... ويؤيد هذا مانسمعه الآن من نطق أهل اليمن .. كما يؤيده قول ابن جني في "سر الصناعة" نقلا عن سيبويه في كتابه : "لولا الاطباق لصارت الطاء دالاً (٧٩)" ... وقد استدل "كانتينو" بكلمة سيبويه ايضاً ، قال : ;;ولما كان معنى مجهور بالضبط موضعاً للخلاف وجب ان نطرح ترتيب النحاة العرب الطاء في الحروف المجهورة جانباً ، الا ان هناك في كتاب سيبويه (٢ / ٥٥) فقرة ترجح فيما يبدو نعت الطاء بكونها مجهورة بالمعنى الحديث ، وذلك قوله : "ولولا الاطباق لصارت الطاء دالاً (٨٠)" .

وعبارة سيبويه اذا أخذت على ظاهرها تقطع بأن صوت الطاء التي وصفها العلماء كان دالاً مفخمة ، اي كالضاد المصرية ، الا ان الامر به حاجة الى فضل تأمل ، ذلك ان علماء العربية ذكروا ثلاثة أصوات بصفة الجهر ، وهي ليست مما يهتز معه الوتران الصوتيان ، هي الهمزة ، والقاف ، والطاء . ولذلك فهذه الثلاثة الاصوات تمثل مشكلاً واحداً ، لاأرى صحة تجزئته . وقد ثبت ان الهمزة والقاف لم يدخلها تغيير في الصفة أو المخرج عما كانا عليه يوم وصفت اصوات العربية .

اما الهمزة فما وجدنا أحد أثار شيئاً يتعلق بمخرجها ، وانها تكون بانطباق الوترين ثم انفصالها فجأة ، وانطباق الوترين غير اهتزازهما ، ولذا فهي مهموسة بضابط المحدثين ، ولكنها مجهورة بضابط القدماء ، لان اغلاق الوترين مجرى النفس يستحيل معه ان تنطق الهمزة مع جريه . ولم يقل احد على مانعلم ان همزة اليوم غير همزة العرب يوم وصفت الاصوات . فالهمزة صوت ثابت ، وصفته مختلف فيها بين المحدثين والقدماء . وأما القاف ، فالتجربة التي ذكرها سيبويه في نطقها لايمكن

---

(٧٩) الاصوات اللغوية . ص ٦٢ .
(٨٠) دروس في علم اصوات العربية . ص ٥٠ . والاحالة على كتاب سيبويه في ط اوربة ، والنص في طبعة بولاق . ٢/ ٤٠٦ .

ان تنطبق على اي صوت فموي من اصوات العربية سواها ، فأنت لو فتحت فمك ، وجافيت بين حنكيك الى اقصى ماتستطيع ، وحاولت نطق القاف الفصيحة ، أمكنك ذلك ، ولو تكلفت نطق اي صوت فموي آخر ، وأنت في هذه الحال ، ماستطعت . والقاف وصفت بأنها مجهورة لانها لايجري معها النفس ، وهي عند المحدثين مهموسة ، لانها لايهتز معها الوتران الصوتيان . فاذا اطمأننا الى ثبات صوتين مع الاختلاف في صفتها ، كان ذلك مدعاة للقول بثبات الصوت الثالث ، لان المشكلة واحدة في الثلاثة .

واما عبارة سيبويه فالذي يتجه لي في تفسيرها أن التنظير الشكلي فيها قد طغى على التطبيق الصوتي ، قال : ''ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا والصاد سيناً والظاء ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام لانه ليس شيء من موضعها غيرها[٨١]'' فالطاء عنده فيها صفتان الجهر والاطباق . فاذا ذهب الاطباق بقي الجهر والحرف المجهور من مخرج الطاء هو الدال ، فلا ريب تؤول الطاء الى دال اذا ذهب عنها الاطباق وبقي الجهر ، كما قال ان الصاد اذا ذهب عنها الاطباق ، صارت سيناً ، اذ الصاد والسين مهموستان ، والفرق بينهما الاطباق . فاذا ذهب صارت الصاد سيناً . وكذلك القول في الظاء والذال ، فهما مشتركتان في صفة الجهر ومختلفتان في الاطباق . فاذا ذهب الاطباق ، صارت الظاء ذالا ، لان الصوت المجهور غير المطبق من مخرج الظاء هو الذال ، ولو ذهب عن الصوت من هذا المخرج الاطباق والجهر ، اذن لصار الصوت ثاء . وهذا ايضاح التقابل أو التنظير الشكلي في هذه الاصوات التي ذكرها سيبويه : ت ، د ، ط ، ڊ .

تولد هذه الاصوات باتصال أول اللسان باصول الثنايا اتصالا تاماً لايسمح للهواء بالمرور ، ثم ينفصل ، فهي اصوات انفجارية (شديدة) ، فاذا لم يكن اطباق بارتفاع وسط اللسان نحو سقف الفم ، ولم يكن جهر باهتزاز الوترين ، سمع الصوت الذي رمز له بـ (ت) فاذا اهتز الوتران ، سمع صوت (د) . فاذا صحب الاهتزاز ارتفاع وسط اللسان نحو طبق الفم ، سمع صوت (ڊ) (الضاد المصرية) فاذا لم يهتز الوتران الصوتيان ، وارتفع وسط اللسان نحو طبق الفم ، سمع صوت (ط) ، وهكذا نجد النظير المطبق للتاء هو الطاء ، وللدال هو الضاد المصرية . هذا بناء على مفهوم الجهر والهمس عند المحدثين ، فاذا نظرنا الى الاصوات بناء على معنى الجهر والهمس عند سيبويه ، وأقمنا المقابلة الشكلية كان كما يأتي :

---

(٨١) الكتاب ٢/ ٤٠٦ .

ت =+همس (- جهر) ، - اطباق .
د = (- همس) + جهر ، - اطباق .
ط = (- همس) + جهر + اطباق .

فالطاء التي وصفها سيبويه بالجهر ، تقابل من الناحية الشكلية صوت الدال اذا نظرنا اليهما من حيث الاطباق وعدمه ، فكلتاهما مجهورة ، الا ان احداهما مطبقة والاخرى غير مطبقة ، ولذلك قال : اذا ذهب الاطباق من الطاء ، صارت دالا .

وهكذا نفهم كلام سيبويه : "لولا الاطباق ، لصارت الطاء دالا ، والصاد سيناً والظاء ذالاً" فالطاء والدال مجهورتان عنده ، وهما من مخرج واحد ، والفرق بينهما الاطباق ، فاذا ذهب الاطباق عادت الطاء دالا ، والصاد والسين مهموستان وهما من مخرج واحد ، والفرق بينهما الاطباق في الصاد ، فاذا ذهب ، عادت سينا ، والظاء والذال مجهورتان ، وهما من مخرج واحد ، والفرق بينهما الاطباق في الظاء . فاذا فقدت الاطباق عادت ذالا . وبهذا ايضاً نفهم قوله : "ولخرجت الضاد من الكلام ، لانها ليس شيء من موضعها غيرها" . فالضاد كما وصفها سيبويه حرف مجهور رخو (احتكاكي) مطبق ، يخرج من بين أول حافة اللسان وما يليه من الاضراس[٨٢] ، وهو بهذا الوصف ليس من مخرجه حرف مجهور غير مطبق حتى يصير اليه اذا فقد الاطباق كما وقع للظاء والصاد والطاء .

ويقوي ماذهبنا اليه من ان التنظير الشكلي قد طغى على التطبيق الصوتي في عبارة سيبويه ومن تبعه ان حقيقة صوت الطاء من حيث اهتزاز الوترين وعدمه ، انهَ مهموس ، والصوت المهموس غير المطبق الذي هو من مخرجه ، التاء ، فالعلاقة في التطبيق الصوتي تنعقد بين الطاء والتاء ، وهذا مانبه عليه علماء التجويد الذين عنوا بالجانب التطبيقي ، قال الداني وهو يتكلم على التاء : (واذا اجتمع مع حروف الاطباق في كلمة فيلزم تعمل بيانه وتلخيصه من لفظة الطاء ، والا انقلب طاء ، كقوله تعالى : (فاختلط) . . .)[٨٣] فالتاء اذا دخله الاطباق صار طاء ، مما يدل على ان الطاء التي كانت تنطق في ايامهم هي تاء مطبقة وليست دالا مطبقة وقال ايضاً : (وان سبقت الطاءُ التاءَ لخص صوت الطاء ، والاصار تاء ، نحو (فرطتُ)[٨٤] فذهاب الاطباق من الطاء في التطبيق الصوتي جعلها تاء لا دالا .

---

(٨٢) الكتاب ٢/ ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٨٣) التحديد ص ١٤١ .
(٨٤) نفسه ص ١٤٢ .

وعلى رغم ذلك نجد الداني يتأثر، عبارة سيبويه في مكان آخر، وكأنه اخذ بالجانب الشكلي ونسي الجانب التطبيقي فيقرر انه (لولا الاطباق الذي في الطاء لصارت دالاً)[٨٥]. على انه قرر ذلك قبل ذكره الجانب التطبيقي.

ولا شك في أن التفاتة "د. ابراهيم أنيس" التفاتة لها قيمتها حين مال الى ان الطاء القديمة تشبه الضاد المصرية، لان هذه الضاد اذا ذهب اطباقها آلت الى دال. ولكن يشكل على رأيه، اجماع قراء القرآن على نطق الطاء بصوت واحد، وهو بهذا النطق مجهور على وفق ضابط القدماء للجهر، لان النفس لا يجري معه فاذا ذهب منه الاطباق بقي الجهر، والمجهور غير المطبق من مخرج الطاء هو الدال. فلا جرم كنا اميل الى القول بثبات صوت الطاء، مع ماقدمناه من ضرورة النظر الى صوت الهمزة والقاف والطاء على انها تمثل مشكلا واحداً لا يتجزأ، زد على ذلك أن الصوت الذي يراه صوت الطاء القديمة، وهو الضاد المصرية، يجري على السنة كثير من العرب اليوم في مصر والمغرب تعبيراً عن الضاد القديمة، وليس من السهل ايجاد مسوغ صوتي، لتحول هؤلاء عن هذا الصوت حينما كان يعبر به عن الطاء وعودتهم اليه ليعبروا به عن صوت الضاد، واستحداثهم صوتاً آخر للطاء، اي ان المتكلم كان يعبر عن الحرف الاول في "طالب" بصوت خاص، هو الضاد المصرية على راي "د. ابراهيم أنيس"، ويعبر عن الحرف الاول في ضرب بصوت لم يبق له وجود في ألسنتنا، فما الذي جعل المتكلم ينقل صوت الطاء ليعبر به عن الضاد، ثم يستحدث صوتاً جديداً للطاء؟ لقد كان المعقول أن يقال ان صوت الطاء بقي على حاله، واستحدث للضاد صوت آخر لصعوبته. وهذا الذي كان على مانراه، حيث تحول صوت الضاد القديم الى دال مفخمة (الضاد المصرية) عند قوم من العرب، والى ظاء عند آخرين.

ان التسليم برأي "د. ابراهيم أنيس" يدعو الى القول بأن العرب هجروا هذا الصوت لا لعلة، واستعملوا مكانه التاء المطبقة، ثم عاد بعضهم الى الصوت نفسه ليعبر به عن صوت آخر، وهو أمر يخالف سنن اللغات في التحول الصوتي، يقول "فندريس"، وهو يتكلم على تغير الاصوات اللغوية: "ان التغير مطلق. ومعنى ذلك انه يتحقق في صورة تامة لا مرد منها، فليست المسألة خلقاً اختيارياً يضيف الى النظام عنصراً جديداً، بل انها مسألة تحول في عنصر موجود، هذا التحول

(٨٥) نفسه ص ١٤٠.

يفترض ان الطفل قد عجز عن تكرار الصوت المسموع تكراراً مضبوطاً ، بل انه لما يلفت النظر أن الصوت الذي استبدل به غيره يصير اشق الاصوات الغريبة على النظام واعسرها على من يريد النطق به[٨٦]" . وكلام "فندريس" على عسر النطق بالصوت المجهور يجد تصديقه الواضح في محاولة أي عربي نطق الضاد الفصيحة اليوم كما وصفها العلماء في كتب العربية .

قد يحتج لرأي "د . ابراهيم أنيس" بأنه يقويه ان الاصوات التي سميت لثوية ، وهي : الثاء ، والذال ، والظاء ، قد رجع اللسان في النطق بها الى الوراء ، فصارت نطعية في بعض اللهجات العربية الحديثة ، كما نجد ذلك في اكثر مدن المغرب غير الشمالية ، فصارت الثاء تاء ، والذال دالا ، أي ان اللثوى المهموس آل الى نطعي مهموس والمجهور الى مجهور . فالمتوقع أن يؤول المطبق المجهور اللثوى الى مطبق مجهور نطعي ، مثل اخويه . وقد آل صوت الظاء الى دال مفخمة (ضاد مصرية) مما يوحي بأن هذا الصوت هو صوت الطاء القديمة ، لانه الحرف النطعي المطبق الذي وصف بأنه مجهور . الا ان هذا الاحتجاج على قوته يضعفه ما بين الضاد والظاء من تعاور قديم وتداخل مما يرجح تحول الظاء الى ضاد فصيحة اولا ثم الى دال مفخمة (ضاد مصرية) ، كما تحولت الالفاظ التي بالضاد القديمة الى الضاد المصرية . وكذلك يضعفه ماأوردناه ونورده من ادلة نفي تحول صوت الطاء القديمة . فالكلام على حقيقة الطاء مرتبط كما قدمنا بالكلام على حقيقة الهمزة والقاف لان مشكل الثلاثة واحد هو صفة الجهر والهمس بين القدماء والمحدثين فاذا اسعفتنا النصوص بتقرير حقيقة القاف مع ماقدمناه من الاجماع اليوم على حقيقة الهمزة ، كان في ذلك الدليل على حقيقة الطاء . وقد وجدنا من النصوص مايؤيد ثبات صوت القاف على ماننطقه اليوم . فمن ذلك ماأوردناه عن سيبويه من تجربة نطق القاف مع تجافي الحنكين ، ومنه مانجده من اغفال القدماء الكلام على وجود قاف مستحسنة أو غير مستحسنة في لغة العرب . فسيبويه تكلم على هذه الحروف ، ولم يذكر شيئاً عن القاف . وكذلك فعل المبرد[٨٧] .

وفي كلام نقله ابن فارس عن ابن دريد مايشير الى قاف تميمية حيث قال : " ...ابن دريد يقول ... فأما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف[٨٨] حتى تغلظ

(٨٦) اللغة ، ص ٦٥ .

(٨٧) انظر الكتاب ٢/ ٤٠٤ ، والمقتضب للمبرد ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ، ط المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٣٨٥هـ ، ١/ ١٩٤ .

(٨٨) في المطبوع : باللهاة .وهو خطا ، والتصحيح من "جمهرة اللغة" لابن دريد ، ط حيدر اباد : الدكن ، ١٣٤٤هـ ، ١/ ٥ .

جداً ، فيقولون : القيوم ، فتكون بين الكاف والقاف ، وهذه لغة تميم . قال الشاعر :

ولا اكول لكدر الكوم كد نضجت

ولا اكول لباب الدار مكفول(٨٩)

ونحن لو نطقنا ثلاثة الاصوات : ق ، كك ، كـ ، لوجدنا القاف اعمق الثلاثة ، يليها صوت (كـ) ، أو الكاف المجهورة ، فالكاف . وهما وان كانا من مخرج واحد الا ان صوت الجهر يجعل الناطق يحس ان المجهور اعمق ، لاهتزاز الوترين ، لتكون الكاف المجهورة بين القاف والكاف ، وهي قاف اكثر العراقيين اليوم في لهجتهم العامية ، ويقوى كون القاف التي ننطق بها اليوم هي القاف القديمة ، وليست القديمة كافاً مجهورة وصف سيبويه مخارج الحروف ، وذلك أنه جعل الحروف التي من مخرج واحد مضمومة بعضها الى بعض ، والمختلفة المخرج منفردة . وقد أفرد القاف عن الكاف ، فلو كانت القاف كافاً مجهورة ، لاوردهما في موضع واحد ، وهذا تفصيل ذلك ، قال : " ... فللحلق منها ثلاثة ، فاقصاها مخرجاً الهمزة ، والهاء ، والالف . ومن اوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء ، ومن اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى مخرج القاف ، ومن اسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الاعلى مخرج الكاف ، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم والشين والياء ..(٩٠)" . فالهمزة من الوترين بانطباقهما ، والهاء منهما باقترابهما حتى يحدث الهواء الماء بينهما حفيفاً ، لايهتز له الوتران ، والالف هواء يهتز له الوتران ، ثم الحاء والعين وهما حرف واحد بصفتين . فاذا كان مهموساً فهو الحاء ، واذا اهتز معه الوتران صار عيناً ، ومثلهما الخاء والغين ، ومثل ذلك الجيم والياء والشين ، فهي تختلف في الصفات ، فالجيم شديدة مجهورة ، والياء رخوة مجهورة ، والشين رخوة مهموسة مع مافيها من التفشي ، ومثل ذلك الظاء والذال والثاء .. الخ ، وقد جمع كل ذلك في مواضعه . ويلاحظ انه جعل الكلام على القاف والكاف منفصلا ، مما يدل على انهما لم تكونا عنده مثل الحاء والعين أو الخاء والغين ، مما يبعد احتمال كون القاف الفصيحة كافاً مجهورة ، بل ان ابن الجزري يحذر من الاتيان بالقاف التي كالكاف الصماء ، ويعني الكاف المجهورة ، قال : "والقاف فليتحرز على توفيتها حقها كاملا ، وليتحفظ مما يأتي به بعض الاعراب وبعض المغاربة في اذهاب صفة الاستعلاء منها حتى تصير كالكاف الصماء ... والكاف

---

(٨٩) الصاحبي ، ص ٥٤ .

(٩٠) الكتاب ٢/ ٤٠٥ .

فليعتن بما فيها من الشدة والهمس ، لئلا يذهب بها الى الكاف الصماء الثابتة في بعض لغات العجم ، فان ذلك الكاف غير جائزة في لغة العرب[٩١] . وهكذا اذا ثبت أن صوت القاف لم يدخله تغيير مثل الهمزة ، وقد وصف بالجهر ، وهو اليوم مهموس على مايراه المحدثون ، فلابد ان تكون الطاء مثلها مادام الضابط مختلفاً .

وقد اشار "د . تمام حسان" الى طاء اطلق عليها الطاء المهموزة (كالتي تنطق في بعض لهجات "الصعيد" ، ومعنى كون الطاء مهموزة هنا أنها صحبها اقفال الاوتار الصوتية حين النطق ، فاصبح عنصر الهمز جزءاً لايتجزأ من نطقها ، هذه الطاء مهموسة قطعاً ، لان اقفال الاوتار الصوتية لايسمح بوجود الجهر ، ويرجح عندي أن الطاء العربية الفصحى القديمة التي وصفها القراء كانت في صوتها وفي نطقها بهذا الوصف . ثم لغرابه صوتها على السمع أخطأ النحاة والقراء فجعلوها مجهورة في دراستهم ، وجعلوا الدال مقابلا مرققاً لها[٩٢]" .

وهذا الذي ذكره "د . تمام" اقرب من القول بأن الطاء كانت دالا مفخمة (ضاداً مصرية) ، ثم انتقل الصوت منها الى الضاد الفصيحة . واقفال الوترين الصوتيين يحدث في الهمز ايضاً كما ذكر . وقد عد علماء العربية الهمزة من الحروف المجهورة ، وذلك بناء على ضابطهم في عدم جري النفس بالصوت ، ويقوى ذلك أن الطاء من حروف القلقلة وهي (قطب جد) ، وهي جميعاً تشترك في صفتي الجهر والشدة . وقد اضاف اليها بعضهم كما نقل "د . تمام" الهمزة ، لما فيها من الجهر والشدة ، وينبغي ان ينظر الى مصطلح الجهر من خلال الضابط الذي وضعه علماء العربية ، وليس من خلال الضابط الذي وضعه المحدثون كي نتمكن من تفهم حكامهم التي ذكروها .

اما الضاد ، فقد ذكر علماء العربية صفتها وبينوا مخرجها[٩٣] بصورة توكد اضمحلالها من اللسان العربي اليوم فمن اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس مخرج الضاد ، الا انك ان شئت تكلفتها من الجانب الايمن وان شئت من الجانب الايسر ، وهي حرف رخو مجهور مطبق ، والضاد التي ننطقها في العراق اليوم وفي عدد من البلاد العربية هي ظاء . أما المصريون وبعض اهل البلاد العربية الاخرى ، فالضاد عندهم دال مفخمة أو هي حرف من مخرج الدال مجهور مطبق شديد ، فهو يخالف الضاد القديمة في مخرجها وفي صفه الشدة التي فيها ، ومع ذلك

---

(٩١) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٢١ .

(٩٢) مناهج البحث في اللغة ، ١٢٢ – ١٢٣ .

(٩٣) انظر الكتاب ٢/ ٤٠٥ ، والمقتضب ١/ ١٩٢ ، وسر الصناعة ١/ ٥٢ ، ٦٩ ، ٧٠ .

فهي الصوت الذي نرى الاصطلاح عليه لنطق الضاد اليوم مادام الرجوع الى الضاد الفصيحة ليس ممكناً ، اذ نأمن بنطقه دالا مفخمة اللبس الذي نقع فيه عند نطقه ظاء ، كما في نطق : ضن وظن ، وضل وظل ، وما اشبه ذلك مما نرجيء البحث فيه الى موضعه من الكلام على البعد الواقعي في الفصل الثاني .

واما الظاء ونطقها زايا مطبقة ، فان ماقاله "برجستراسير" فيها لايتناول النطق الفصيح بل هو خاص باللهجات العامية ، وذلك ان نطقها واحد في الفصيح وعلى السنة قرآء القرآن في البلاد العربية جميعها ، اما نطقها زايا مطبقة ، فلانكاد نجد له اي اثر في الفصيح حتى عند اولئك الذين يشيع هذا الصوت على السنتهم في لهجاتهم المحلية .

واما الجيم ، فنطقها الفصيح قائم عندنا في العراق وفي عدد من البلاد العربية ، وهو على ماوصفه علماء العربية حرف شجري مجهور شديد ، الا ان الصوت بدأ يدخله التغيير في النطق الفصيح عند كثير من ابناء العرب حيث اشرب صوت الشين ، وهما من مخرج واحد ، مما يستدعي التنبه الى نطقه والمران على اللفظ الصحيح والتزامه . وحديث الجيم كحديث الظاء التي تنطق زايا مطبقة يكون الكلام عليه في البعد الواقعي .

والذي نخلص اليه مما تقدم ان الذي دخله التغيير في اصوات العربية في الفصيح على سبيل القطع هو صوت الضاد القديم . واما ما سوى ذلك ، ففيه متسع للبحث ، والراجح انه من غير المتحول ، وان كانت ادلة التحول في بعضه قوية ، الا ان الادلة المعارضة اقوى ، ونرجو ان نكون قد اوردنا في تقرير ثبات هذه الاصوات مافيه مقنع ، والله سبحانه اعلم بالصواب .

الفصل الثاني

اصوات العربية واقعها ومستقبلها

التواصل اللغوي

يمتلك الانسان السوي القدرة على نقل افكاره الى الاخرين، وهذه الملكة تظهر بصور عديدة محصلتها النهائية ايصال فكرة ما من انسان الى انسان. فقد تنقل الفكرة بالاشارة الجسمية على طريقة الخرس، كاشارة الحاجة الى الطعام او الشراب مثلا، او بتقاطيع الوجه واوضاع العينين والشفتين، لافهام المقابل السرور او الحزن او الالم او الغضب او الرضا. والاشارات الجسمية تكاد تكون وسائل افهام عالمية لما الفه الناس من مدلولاتها على اختلاف مواضعهم، فكانت الالفة بديلا من الاصطلاح اللغوي على معانيها. ومن ذلك ايضا نقل الفكرة بالخطوط والالوان، فصورة جمجمة تحتها عظمان متقاطعان اذا وضعت على زجاجة فيها سائل ما كان ذلك اعلاما بان السائل فيه خطورة (سامّ مثلا). واذا وضعت على لوحة معلقة على سياج حديد، اذن ذلك بخطورة الاقتراب من السياج، وهكذا. واشارات الطرق وسائل افهام عالمية ايضا، كثير منها يتم ادراك معناه بسهولة، كالسهم المنحرف باتجاه معين مشيرا الى انحراف الطريق نحو ذلك الاتجاه، الا انها في جمهورها تستدعي معرفة ما اصطلح عليه واضعوها، فالمثلث والدائرة مثلا شكلان هندسيان يمكن ان يعبر باي منهما عن المنع وبالاخر عن التذكير، واختيار المثلث للتذكير والدائرة للمنع اختيار اصطلاحي لابد من معرفة سابقة به ليتم الافهام.

وسائل نقل الفكرة بغير الصوت الانساني، لانسميها لغة بمصطلح الدرس اللغوي، بل هي اشارات دالة مؤدية الى التواصل، او الفهم "كما نفهم بجمجمة

الفرس كثيرا من حاجاته ، ونفهم بضغاء السنور كثيرا من ارادته ، وكذلك الكلب ، والحمار ، والصبي الرضيع''[1] .ٔ

بل ذهب الجاحظ الى ابعد من هذا حين اخرج من العربية كل ما لم يكن على وفق نظام كلام العرب وان كان مفهوما عندنا ، قال : ''فمن زعم ان البلاغة ان يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة واللكنة ، والخطأ والصواب ، والاغلاق، والابانة ، والملحون والمعرب ، كله سواء ، وكله بيانا . وكيف يكون ذلك كله بيانا ، ولولا طول مخالطة السامع للعجم ، وسماعه للفاسد من الكلام ، لما عرفه .... وانما عنى (العتّابي) افهامك العرب حاجتك على مجارى كلام العرب الفصحاء[1] .

ومن وسائل نقل الفكرة مما لابد فيه من اصطلاح سابق ، الاصوات الصادرة من جهاز الصوت الانساني ، واذا كانت اشارات الطرق ، والاشارات الجسمية ، وسائل تواصل وافهام عالمية ، فان مايعبر عنه الصوت الانساني من افكار لايعدو ان يكون وسيلة موضعية محدودة ، ومن هنا اختلفت معاني الاصوات المنظمة عند بني الانسان باختلاف الاصطلاح على ما تشير اليه تلك الاصوات ، واستطاعت كل مجموعة من البشر ، او كل امة ان تصطلح بطريقة غير مقصودة على نظام صوتي معين يتم به التفاهم فيما بين افرادها .

فالانسان اذن قد وهبت له القدرة على نقل افكاره الى الاخرين ، وهذه القدرة يمكن ان تظهر بصور متعددة ، منها الاصوات الصادرة من الجهاز الذي زُود به خلقةً ، ولكي لانخوض مفصلا في ثلاثية سوسير Langage ، Langue ، Parole نقول : إن القدرة على نقل الافكار نطلق عليها ملكة التواصل الفكري ، او اذا شئنا ان نعبر عن ذلك بكلمة واحدة قلنا ''التفاكر'' ، لان في اطلاق لفظ اللغة من غير قيد على هذه الملكة مع ماقدمناه من صور مختلفة لظهورها ابتعادا واضحا عن حقيقة معنى كلمة لغة واشتقاقها ، وهذه الملكة وان كانت سببا في وجود اللغة الا انها لاتدخل في حقل الدرس اللغوي المحض ، بل هي في باب علم النفس اللغوي ، او في مجال الدرس التشريحي لوظائف قشرة المخ[2] . ادخل منها في باب الدرس اللغوي . وقد آثرنا في التدريس ان نترجم ''Langage'' في المفهوم السوسيري بالكينونة اللغوية ، اذ وجدنا هذه اللفظة تعني عنده العوامل التي

---

(١) البيان والتبيين ، للجاحظ ـ تحقيق عبدالسلام هارون ، ١/ ١٦٢ ، ط٤ ، سنة ١٩٧٥م .

(٢) انظر : اللغة والفكر ـ د . نوري جعفر ، ص٤١ ومابعدها . مكتبة التومي ـ الرباط ١٩٧١م .

تتضافر لتولد اللغة ، ولذلك جعل (Langue) جزءا من (Langage) ، ووصف الثانية بتعدد الجوانب وعدم التجانس ، اذ هى (تشتمل على عدة جوانب في آن واحد كالجانب الفيزيائي (الطبيعي) ، والجانب "الفسلجي" (الوظيفي) ، والجانب "السايكولوجي" (النفسي)[٣] ، وذلك واضح ايضا من كلامه في "ص ٢٦" ، فالمصطلح عنده يعني الصوت اللغوي المعبر عن فكرة ، وهو جهاز النطق الذي اصدر الصوت اللغوي ، وهو الثلث الايسر من الجزء الامامي من المخ حيث ملكة الكلام ، وهو الحالة النفسية التي تؤدي بالانسان الى نطق ذلك الصوت اللغوي ، وهو الوسط الناقل للصوت اللغوي ، وهو جهاز الاستقبال ، اي الاذن البشرية بتفصيلاتها التشريحية ، وهو عملية النقل الى الدماغ ، وهو ملكة الفهم ، المصطلح اذن يعني عند (سوسير) مجموع العوامل الفيزياوية والعضوية والنفسية التي تتضافر لتكون لغة ما انسانية ، واخلق بمثل هذا المصطلح ان تكون ترجمته "الكينونة اللغوية" ، فذلك اقرب الى المراد وابعد عن اللبس .

اما اللغة (Langue) فهي جزء جوهري محدد من "الكينونة اللغوية" . اذ هي جميع صور الكلمات المخزونة في عقول جميع الافراد في مجتمع ما ، التي تم خزنها عن طريق الاستعمال الفعّال الفردي للكلام ، فهي غير كاملة في الفرد ، بل يكمل وجودها في المجموع[٤] . اما الكلام (Parole) فهو الفعل اللغوي الفردي ، ولاشك انه ضرورة لتثبيت اركان اللغة ، كما أنه من الناحية التاريخية يأتي اولا "اذ كيف يمكن للمتكلم ان يربط فكرة مّا بصورة الكلمة اذا لم يكن قد وجد مثل هذا الربط في احد افعال الكلام؟ كما اننا نتعلم لغتنا بالاصغاء الى غيرنا . فاللغة لاتستقر في الدماغ الا بعد عدد لايحصى من الخبرات[٤] ، وهكذا يكون الانجاز اللغوي الفردي (الكلام) المادة التي تكون منها المعجم اللغوي المخزون في العقل الجمعي ، ويبقى التواصل والترافد بينهما قائما . فالكلام يثري اللغة بما يحدثه الافراد من الفاظ يكتب لها الحياة بالاستعمال ، واللغة تمدّ الفرد بالالفاظ المخزونة في عقول مجموع افراد المجتمع ليستعملها ويبني عليها .

وهكذا تكون الاصوات الانسانية التي رضيتها امة مّا للتعبير عن افكارها بنظام معين لغة تلك الامة ، وبهذا عرف ابن جني اللغة حين قال : "اما حدّها فانها اصوات يعبّر بها كل قوم عن اغراضهم"[٥] . واما الانجاز الفردي الذي ينهل

---

(٣) علم اللغة العام ـ دي‌سوسور ، ترجمة د . يونيل يوسف عزيز ، ص ٢٧ . ط بغداد ١٩٨٥م .
(٤) نفسه ص ٣٢ ، ٣٨ .
(٥) الخصائص ١/ ٣٣ .

من معين اللغة فهو الكلام . واللسان مرادف للغة ، بل ان النصوص الفصيحة القديمة لم تفضل استعمال لفظ اللغة وآثرت عليه لفظ اللسان ، اذ لم يرد في القرآن الكريم لفظ لغة ، وورد لفظ لسان على ماأحصاه محمد فؤاد عبد الباقي مرادا به اللغة في خمسة مواضع[٦] ، منها قوله تعالى : (وما ارسلنا من رسول الابلسان قومه ليبين لهم)[٧] ، كما انه ليس من السهل العثور على شعر من عصر ماقبل الاسلام او من صدر الاسلام ، فيه لفظة لغة ، ولايبعد ان يكون ذلك لمكان اشتقاق اللغة وصلتها باللغو .

فاللسان او اللغة لأمة مّا ، هو مجموع ما تمتلكه تلك الامة من الفاظ دالة بنظام معين ، سواء منها ماكان في عقلها الجمعي او ماكان في مدوناتها مما يمكن ان تتكلم به او ما يولده ابناؤها على وفق ذلك النظام .

والممارسة الفعلية للغة بالكلام تجعلها عرضة للتغيّر في معاني الفاظها وتركيبها وأصواتها بمرور الزمن والذي يعنينا هنا ، التحوّل الصوتي في "صويتات"[٨] اللغة العربية وحركاتها وحروفها . فالعربية لايحكمها قانون صوتي خاص يجعلها منفردة عن بقية اللغات ، بل انها تتأثر ، شأنها في ذلك شأن اللغات الاخرى ، بعوامل التحول المختلفة التي تصيب اللغات[٩] ، بيد انها انفردت بخصوصية لاينبغي اغفالها ، وهي تقييد اصواتها على ماهي عليه في لغة الادب يوم كانت العربية متداولة في البيوت والاسواق ، واجتهاد ابنائها في اجيالهم المتعاقبة في ان يحفظوا هذه الاصوات في لسانهم الادبي ، ويحملوا انفسهم على ذلك بالتعليم والمران .

وهكذا سلكت العربية بعد عصر الاستشهاد (نحو سنة ١٥٠ هـ) طريقين في كلام الناس ، الاولى : في كلامهم الادبي ، حيث اجتهد المتكلمون في حفظ اصواتها وضبطها على ماكانت عليه يوم وصف علماء العربية هذه الاصوات .

(٦) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، ص ٦٤٧ (مادة لسن) .
(٧) سورة ابراهيم ، الآية ٤ .

(٨) رأينا ان نضع لفظ "صويتة" في مقابل "فونيم" .
(٩) انظر تفصيل ذلك في علم اللغة ، د . علي عبدالواحد وافي ، ص٩٦ وما بعدها ، ودلالة الالفاظ ، د . ابراهيم انيس ، ص٢٠ وما بعدها .

والثانية : في كلامهم في بيوتهم واسواقهم ، حيث عرض لها مايعرض لاية لغة غير مقيّدة ، فاللغة الادبية هي التي "تبقى عادة ثابتة الى حد كبير ، وتجنح نحو الاحتفاظ بكيانها"(١٠) ، الا ان طول المدة التي بقيت فيها العربية الفصيحة بعيدة عن الاستعمال الواسع لافراد الامة ، وكثرة الاختلاط بالامم الاخرى ، ادى الى تحوّل ظاهر في اصوات الناطقين بها في اسواقهم ، وتسرب شيء من ذلك في لغة الادب بصورة ظاهرة ، وبقي قسم آخر ينتظر فرصته للهيمنة على اللغة الادبية ، وهكذا نجد للتحول الصوتي اليوم مظهرين :
الاول : في واقع الاستعمال الفصيح .
والثاني : فيما يتوقع في مستقبل الاستعمال الفصيح .

المظهر الواقعي : ـ .

اللغة الادبية كما اشرنا قيّدت اصواتها وقواعدها ، وهي لغة الكتابة التي اتجه اليها العلماء بالدرس ، اما لغة البيت والسوق ، فقد بقيت مطلقة ، ودخلها التحول الطبيعي الذي يدخل اللغات غير المقيّدة . وقد تنبه علماء العربية لواقع عدد من الاصوات التي لم تكن تجري على السن الفصحاء في لغة الادب فدوّنوها على انها اصوات غير مستحسنة ، كذلك تنبهوا لاصوات غير شائعة في لغة الادب ، ولكنها كانت كما يبدو شائعة في قبائل فصيحة غير مختلطة ، اي ان اصواتها لم تتأثر بسبب الاختلاط باللغات غير العربية ، فاجازوا استعمالها في اللغة الادبية ، بل اجازوا قراءة القرآن بها ، لمجيء الروايات بذلك . ولعل هذه الاجازة ، اعني اجازة استعمالها في الفصيح ، كانت اقراراً بواقع لم يكونوا يملكون فيه تحويل اهل تلك الاصوات عنه ، فهي اذن اصوات من غير اللغة المقيّدة ، تسربت فيها ، لان ذلك كان في عصر الاستشهاد .

لقد ذكر سيبويه عدد اصوات العربية الادبية (حروفها) ثم قال : " .. وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع ، واصلها من التسعة والعشرين ، وهي كثيرة يؤخذ بها ، وتستحسن في قراءة القرآن والاشعار ، وهي : النون الخفيفة ، والهمزة التي بين بين ، والالف التي تمال امالة شديدة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي تكون كالزاي ، والف التفخيم ، يعني بلغة اهل الحجاز في قولهم الصلاة والزكاة والحياة .
وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولاكثيرة في لغة من تُرتضى عربيته ، ولاتستحسن في قراءة القرآن ، ولا في الشعر ، وهي : الكاف التي بين الجيم

(١٠) علم اللغة العام ، ص١٦٣ .

والكاف ، والجيم التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالثاء ، والباء التي كالفاء وهذه الحروف التي تممتها اثنين واربعين ، جيّدها ورديئها اصلها التسعة والعشرون ، لاتبين الا بالمشافهة''[11].

والاصوات المستحسنة التي أشار اليها سيبويه وردت باكثرها قراءات قرآنية مما يدل على انها أصوات لقبائل فصيحة نزل بها الوحي ، او اذن بها الرسول ، صلّى الله عليه وسلّم ، بوحي من الله سبحانه ، قال ابن الجزري بعد ان اورد حروف العربية على مخارجها : ''ولبعض هذه الحروف فروع صحّت القراءة بها ، فمن ذلك الهمزة المسهّلة بين بين ،... ومنه الفا الامالة والفخيم .... ومنه الصاد المشممة وهي التي بين الصاد والزاي ..''[12] فهذه اربعة احرف مما ذكره سيبويه نصّ ابن الجزري على مجيء القراءة الصحيحة بها ، وبقيت النون الخفيفة ، والشين التي كالجيم . اما النون الخفيفة ، فهي النون التي لايكون لطرف اللسان عمل في اخراجها وقد سماها ابن جني الخفيّة ، قال : ''ومن الخياشيم مخرج النون الخفيّة ، ويقال الخفيفة ، اي الساكنة''[13] ، وهذه النون هي النون التي يرد ذكرها في أصوات العربية الاصول نفسها ، الا ان تلك حين تجيء ساكنة متبوعة بأحد خمسة عشر حرفاً تصير حينئذ ''غنّة في الخيشوم ، لاعلاج على الفم في النطق بها''[14] سواء كان ذلك في كلمة واحدة نحو ينقاد ، او في كلمتين متتاليتين ، نحو : من قال ، وهذه الحروف هي القاف ، والكاف ، والجيم ، والشين ، والضاد ، والصاد ، والزاي ، والسين ، والظا ، والذال ، والثاء ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والفاء . ''ويمكن ان نلحظ الفرق بين الصوتين بوضوح في قولنا : من عاد ، ومن قال ، فبعد ان نفتح الشفتين بالميم في الاولى ، يتصل طرف اللسان باللثة فويق الثنايا ، او باصول الثنايا ، ويخرج الهواء بغنّة من الانف بعد ان ينخفض الحنك اللين ، ليقفل طريق الفم امامه . اما في الثانية ، فان اللسان لايمس اللثة او اصول الثنايا بعد انفتاح الشفتين بالميم ، بل يبقى طرفه مستلقياً في الفم ، وكأنه يستعد لنطق القاف ، وينخفض الحنك اللين ليخرج الهواء بغنة من الانف . واستعداد اللسان لنطق الحرف الذي بعد النون ، يمكن ملاحظته بوضوح بأن تتنوع الحروف في التجربة ، كأن يستعمل بعدها الجيم ، والذال ، والفاء ، في مثل : من جاء ، من ذلك ، من فاز .

---

(١١) الكتاب ـ سيبويه ، ٢/ ٤٠٤ .
(١٢) النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ١/ ٢٠٢ .
(١٣) سر الصناعة ١/ ٥٣ .
(١٤) دروس في علم اصوات العربية ، ص٦١ .

فالصوت في النونين وان كان واحداً في الاصل ، الا ان خفاء هذه النون وتحوّل اللسان عن موضعه في الضغط على اصول الثنايا او اللثة ، جعل العلماء يذكرون نونين ، ويشيرون الى مخرجين''(١٥) .

وعلى هذا ، فالنون الخفية او الخفيفة التي ذكرها سيبويه ، ليست نوناً لهجية تختلف عن النون الفصيحة ، وانما هي نون تعاملية ، بمعنى انها النون التي تسمع او تنطق في حال سكونها اذا جاءت متبوعة بواحد من الحروف الخمسة عشر التي ذكرت ، فهي كاللام التي تأتي مفخمة في بعض المواضع ، مرققة في غيرها . ولم يذكر سيبويه اللام المفخمة في الفروع . وقد كان ينبغي على هذا ان لاتورد النون الخفية في الفروع ايضاً ، ولكن يمكن ان يقال ان ايراد سيبويه ايّاها في الفروع دليل على ان الاخفاء لم يكن كثيراً او شائعاً في الفصيح على ايامه . ولما اعتنى العلماء فيما بعد بتجويد القرآن وترتيله ، قيّدت قاعدة الاخفاء في النون ، وشاعت القراءة بذلك ، وان كانت معروفة غير شائعة في زمن سيبويه .

اما الشين التي كالجيم ، فهي على ماذكر ابن جني ''الشين التي يقل تفشيها واستطالتها ، وتتراجع قليلا متصعدة نحو الجيم''(١٦) . ولم اجد فيما رجعت اليه من مظان من يذكر قراءة بهذا الصوت ، بل وجدت ابن الجزري يحذر القارىء من ان يكون تفشي الشين غير بيّن في قراءته . ولو كان اقلال التفشي قراءة ، لما نبّه عليه ، قال : ''الشين انفردت بصفة التفشي ببيانه ، لاسيما في حال تشديدها او سكونها ، نحو ''فبشرناه'' ، واشتراه ، ويشربون ، واشدد والرشد ، ولاسيما في الوقف ، وفي نحو ''شجر بينهم'' ، وشجرة تخرج ، فليكن البيان اوكد للتجانس(١٧) . وجعل ابن يعيش الشين التي كالجيم مثل الجيم التي كالشين من حيث الصوت ، الاّ انه فرّق بينهما من حيث الاستحسان وعدمه ، وعلل ذلك بالتعامل الصوتي قال : ''واما الشين التي كالجيم ، فقولك في اشدق : اجدق ، لان الدال حرف مجهور شديد ، والجيم مجهور شديد ، والشين مهموس رخو ، فهي ضد الدال بالهمس والرخاوة ، فقربوها من لفظ الجيم قريبة من مخرجها ، موافقة الدال في الشدة والجهر .. واما الجيم التي كالشين ، فهي تكثر في الجيم الساكنة اذا كان بعدها دال او تاء ، نحو قولهم في اجتمعوا ، والا جدر ، اشتمعوا ، والاشدر ، فتقرب الجيم من الشين ، لانها من مخرج واحد ، الا ان الشين ابين وافشى ، فان قيل : فما الفرق بين الشين التي كالجيم حتى جعلت في الحروف غير المستحسنة وبين الجيم التي

---

(١٥) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، ص٣١١ .
(١٦) سر الصناعة ١/ ٥٦ .

(١٧) النشر ١ / ٢١٩

كالشين حتى جعلت في الحروف المستحسنة ؟ قيل : ان الاول كره فيه الجمع بين الشين والدال ، لما بينهما من التباين الذي ذكرناه . واما اذا كانت الجيم مقدمة ، كالاجدر واجتمعوا ، فليس بين الجيم والدال من التنافي والتباعد مابين الشين والدال ، فلذلك حسن الاول وضعف الثاني"(١٨) .

والجيم التي كالشين ، التي جعل ابن يعيش صوتها موافقاً لصوت الشين التي كالجيم ، ذكرها ابن الجزري ، وهو يحذر من نطق غير مستحسن للجيم ، قال : "والجيم يجب ان يتحفظ باخراجها من مخرجها ، فربما خرجت من دون مخرجها ، فينتشر بها اللسان ، فتصير ممزوجة بالشين ، كما يفعله كثير من اهل الشام ، ومصر"(١٩) وجيم اهل الشام ، مازالت الى يومنا هذا ممزوجة بالشين ، اما جيم اهل مصر فيبدو انها تغيرت الى الصوت الذي نبّه عليه بقوله : "وربما نبا بها اللسان ، فاخرجها ممزوجة بالكاف ، كما يفعله بعض الناس ، وهو موجود كثيراً في بوادي اليمن"(١٩) .

وهكذا يتبين لنا ان ماذكره سيبويه على انه من الاصوات التي تستحن في قراءة القرآن وفي الشعر ، لم يبق منها في واقع الاستعمال الفصيح اليوم سوى النون الخفيّة او الخفيفة . اما الاصوات الاخرى ، فقد نسمع شيئاً منها من بعض قرّاء القرآن ، كالامالة والتفخيم ، ولكن ذلك ليس مألوفا في غير القرآن الكريم ، وصارت الامالة والتفخيم والصاد التي كالزاي من الاصوات المألوفة في بعض اللهجات العامية ، ولاحظّ لها في الفصح . اما الشين التي كالجيم على مافسره ابن يعيش ، فلاحّظ لها في عامية او فصيحة .

اما ماأورده سيبويه على انه اصوات لاتستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر فان به حاجة الى تأمل ، ولذا آثرنا ان نتناوله على ماأورده مفصلا :

١ ـ الكاف التي بين الجيم والكاف :

وهو صوت لهجي ، لااثر له في الفصيح اليوم ، نستعمله في لهجتنا العامية في العراق بدل كاف المؤنث باطراد ، وهو صوت (تش) ، قال د. عبد الرحمن ايوب وهو يتكلم على هذا الصوت : "مثل كاف التأنيث في اللهجة العراقية في مثل كتابك"(٢٠) ، وقال عنه كانتينو : "نطق مستهجن للكاف هو الكاف التي كالجيم . .

---

(١٨) شرح المفصل ـ لابن يعيش ، مصورة عن طبعة مصر ، غير مؤرخة ١٠ / ١٢٧ .
(١٩) النشر ١ / ٢١٧ .
(٢٠) محاضرات في اللغة ، ص ١٣٠ .

فالمفروض ان يكون هذا النطق هو نطق الكاف تش"[٢١] . وإلى هذا ذاهب ايضاً د . ابراهيم انيس ، ود . احمد الجندي[٢٢] ، وليس الصوت في عاميتنا خاصاً بكاف المؤنث ، بل هو مطرد فيها ، كما انه يبدل من الكاف في عدد غير قليل في غير المؤنث ، كالديك والسمك ، وكان ، وكم ، واتكل عليه ، ويحكي ، حيث نقول : "الديج ، والسمج ، وجان ، وجم ، وانتجل عليه ، ويحجي" ، ولم يستطع هذا الصوت ان يتسرب في الفصيح في اي موضع يستعمل فيه على ما اعلم .

٢ ـ الجيم التي كالكاف

وهي الجيم التي قال عنها ابن الجزري : "وربما نبا بها اللسان ، فاخرجها ممزوجة بالكاف"[٢٣] . وقد تسرب هذا الصوت في السنة المتحدثين بالفصيحة وسنعود للكلام عليه مفصلا في موضعه .

٣ ـ الجيم التي كالشين :

وهي التي قال عنها ابن الجزري : "فينتشر بها اللسان ، فتصير ممزوجة بالشين"[٢٣] . والقول في هذه الجيم كالقول في سابقتها .

٤ ـ الضاد الضعيفة :

والضاد الفصيحة صوت خرج من مجموعة اصوات العربية المستعملة اليوم ، فلم يعد له وجود في نطق احد من العرب[٢٤] ، ويبدو ان الضعيفة وهي فرع على الفصيحة اصابها مأصاب الاصل ، فلم يعد لها استعمال في فصيح او عامّي .

٥ ـ الصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالثاء :

والذي يجمع هذه الثلاثة الاصوات ان المطبق منها يتقرب من نظيره غير المطبق ، فالصاد من حروف الاطباق وهو مهموس ، نظيره المهموس غير المطبق هو السين ، والظاء من حروف الاطباق وهو مجهور ، والثاء نظيره المجهور غير المطبق ،

---

(٢١) دروس في علم اصوات العربية ، ص ١٠١ .

(٢٢) انظر في اللهجات العربية د . ابراهيم انيس ، ص ١٢٣ ، واللهجات العربية في التراث ، د . احمد علم الدين الجندي ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، غير مؤرخة ، ص ٢٨٠ .

(٢٣) النشر ١ : ٢١٧ .

(٢٤) انظر : كلامنا على ذلك في الفصل الاول .

ولاشك في ان ضعف الاطباق فيهما يؤدي الى اقتراب الصوت من نظيره غير المطبق . وهذان الصوتان ، لانكاد نسمع لهما اثراً في لهجاتنا العامية الاّ مايسمع احيانا من قول بعضهم :

السدر ، بمعنى الصدر . وقد جعل الانطاكي الصوت الاول من اصوات النساء قال : "وكثير من عامتنا اليوم ، ولاسيما المتظرفات من النساء ، والبنات اللواتي يتلقين العلم في المدارس الاجنبية ، تسمعهم ينطقوم كلمة "صالح" فتظنهم يقولون "سالح"(٢٥) . ومثل ذلك قال عن الطاء التي كالتاء : "ومتظرفاتنا اليوم يقلن "تبيب" "بدلا من" "طبيب"(٢٥) . وحديث الطاء والتاء ، حديث طويل ، كنا قد تقصيناه في الفصل الاول ، وانتهينا فيه الى ان الطاء التي نسمعها اليوم من القراء الجيدين هي الطاء التي وصفها سيبويه ، وان كانت مهموسة بمصطلح المحدثين ، الا انها مجهورة بمصطلح القدماء ، على ان ادلة القائلين بان الطاء الفصيحة كانت كالضاد المصرية اليوم "أي كالدال المطبقة" من القوة بمكان ، الا ان الادلة المعارضة اقوى . فاذا صح ماوصلنا اليه ، كانت الطاء التي كالتاء هي مايسمع من غير قليل من الممثلات المصريات حيث ينطقنها قليلة الاطباق ، وهو مانسبه الانطاكي ايضاً الى متظرفات بلاد الشام كما مرّ ، وان صح انها كانت دالا مطبقة ، وهو مااسقطناه في بحثنا المذكور ، كانت طاؤنا اليوم هي الطاء التي قال عنها سيبويه انها لاتستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر .

٦ ـ الباء التي كالفاء : ـ

وهو صوت لانكاد نسمعه من عربي في فصيح او عامّي ، ولعله صوت الباء المهموس ، اي صوت "P" عند غير العرب . وقد سمعت بعضهم يلفظ اسم بغداد بباء مهموسة بعدها هاء مع اشباع فتحة الباء فيقول : "باهداد" . وقد اجاز محققو كتاب سر صناعة الاعراب لابن جني ان يكون مااطلق عليه الباء التي كالفاء باء مهموسة ، أو فاء مجهورة ، أي تشبه الحرف P أو V)(٣٦) . والذي اميل اليه انه باء مهموسة ، لان صوت الفاء المجهورة نسمعه من الاعاجم بدل الواو ، لاالباء .

---

(٢٥) المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها ، محمد الانطاكي ، ١ / ٤٥ ، ط بيروت ١٣٩٢ هـ .

(٣٦) سر الصناعة ، ١ / ٥٨ الحاشية .

وبعد عصر الاستشهاد مضت لغة الحديث (العاميات) في تحولها وفي محاولة ادخال بعض اصواتها على الفصيحة الادبية (لغة الكتابة) حتى وجدنا علماء التجويد يحذرون من نطق عدد من الاصوات الفصيحة في قراءة القرآن باصوات اخرى مما يدل على تسرب تلك الاصوات في الفصيحة، او في الاقل اتساع امرها، حتى خشي العلماء من دخولها في الفصيح: قال ابن الجزري: "والثاء حرف ضعيف... وكثير من العجم لايتحفظون في بيانها فيخرجونها سيناً خالصة، والجيم يجب ان يتحفظ باخراجها من مخرجها، فربما خرجت من دون مخرجها، فينتشر بها اللسان، فتصير ممزوجة بالشين، كما يفعله كثير من اهل الشام ومصر، وربما نبا بها اللسان فأخرجها ممزوجة بالكاف، كما يفعله بعض الناس، وهو موجود كثيراً في بوادي اليمن.. والذال يعتنى باظهارها... وبعض النبط ينطق بها دالا مهملة، وبعض العجم يجعلها زاياً، فليتحفظ من ذلك،.... والضاد انفرد بالاستطالة، وليس في الحروف مايعسر على اللسان مثله، فان ألسنة الناس فيه مختلفة، وقلّ من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاما مفخمة ومنهم من يشمّه الزاي. وكل ذلك لايجوز... والقاف، فليتحرز على توفيتها حقها كاملا، وليتحفظ مما يأتي به بعض الاعراب وبعض المغاربة من اذهاب صفة الاستعلاء منها حتى تصير كالكاف الصماء...." (٢٧).

فالتحول الصوتي اذن قديم. وقد اورد الجاحظ نماذج من هذا التحول، عزا بعضه لعيوب اللسان، او للاختلاط، او لمحاولة غير اهل اللغة النطق باصواتها، ومما قاله: "واهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك نجد الاختلاف في الفاظ من الفاظ اهل الكوفة والبصرة والشام ومصر" (٢٨)، وقال: "الا ترى ان اهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بالفاظ من الفاظهم... وكذلك اهل الكوفة" (٢٩)، وقال: "والجاري على افواه العامة غير ذلك، لايتفقدون من الالفاظ ماهو احق بالذكر، واولى بالاستعمال... والعامة ربما استخفت اقل اللغتين واضعفها، وتستعمل ماهو اقل في اصل اللغة استعمالاً، وتدع ماهو اظهر واكثر..." (٣٠). ومما ذكره من الاصوات المتحولة بسبب عيوب اللسان وغيرها (٣١). نطق السين ثاء، والقاف طاء، والجيم زاياً، والقاف كافاً، والذال دالا، والطاء تاء، وغير ذلك مما تجده مبثوثاً في كتابه.

---

(٢٧) النشر ١ / ٢١٧ – ٢٢١.
(٢٨) البيان والتبيين ١ / ١٨.
(٢٩) نفسه، ١ / ١٩.
(٣٠) نفسه. ١ / ٢٠.
(٣١) انظر مثلا ١ : ٣٤، ٣٧، ٥٧ - ٦٠، ٧٠، ٧٣.

ومما مرّ يتبين ان الاصوات الفرعية التي اوردها سيبويه ، سواء المستحسنة منها او غير المستحسنة ، لم يتسرب منها الى النطق الفصيح اليوم سوى فرعين من الجيم ، الا ان المتتبع لهذا النطق الفصيح في البلاد العربية يسمع اصواتاً فرعية وانتقالا صوتياً في عدد من اصوات العربية مما اوردنا شيئاً منه في كلام الجاحظ وابن الجزري فقد استطاعت العامية في عشرات من السنين ان تسرّب في الفصيحة عدداً من اصواتها في اللسان الادبي والنطق الفصيح ، فنحن نرى اثر الاصوات اللهجية واضحاً فيما نسمعه من المتحدث بالعربية الفصيحة ، بل ان بعض هذه الاصوات قد نازع الفصيح في قراءة المجيدين من قرّاء القرآن ، كالجيم المشربة صوت الشين عند بعضهم ، والضاد المحولة الى ظاء عند آخرين ، مما يظهر اهمية السعي للتخلص من هذا التأثير ـ ما امكن ، ونقول : ماأمكن ، لان صوتاً واحداً من هذه الاصوات المغلوبة لم يعد بالامكان العوْدة اليه ، لاجماع الناطقين بالعربية اليوم على تركه ، فلم نعد نعرف على وجه الدقة كيف هو صوته ، ذلك هو الضاد الفصيحة كما وصفها علماء العربية "فمن اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس مخرج الضاد ، الا انك ان شئت تكلفتها من الجانب الايمن وان شئت من الجانب الايسر" (٣٢) .

ويمكن القول ان الضاد صوت خرج من الالسن العربية اليوم واضمحل منها ، فتحول الى ظاء عند قوم ، والى دال مفخمة عند آخرين(٣٣) ، فوصفه بانه ادنى حنكي كما قال كانتينو(٣٤) ، او سنّي مطبق انفجاري ، كما قال السعران(٣٥) ، مبني على نطق بعض العرب اليوم لاجميعهم ، وهو لايرافق نطق العرب يوم وصفت الحروف . هذا الصوت المهجور ليس من السهل العودة اليه ، ذلك "ان الصوت الذي استبدل به غيره يصير اشق الاصوات الغريبة على النظام واعسرها على من يريد النطق به(٣٦)" ولاسيما ان هذا الصوت لايجري على لسان احد من العرب اليوم . اما الاصوات الاخرى مما سنعرض له ، فهي حيّة على السنة اكثر العرب في الفصيح ، وان اصابها ما أصابها عند آخرين . ولو رجعنا الى كلام ابن الجزري الذي اوردناه آنفا ، لوجدنا الاصوات التي حذر من الاتيان بها في نطق الضاد مسموعة في ايامنا ، كما كانت يوم حذّر منها . فمن ذلك قوله : "فمنهم من يخرجه ظاء" ، وهو مسموع مشهور ، بل ان على ذلك اليوم نطقه في العراق

(٣٢) سر الصناعة ١ / ٥٢ .
(٣٣) التطور النحوي للغة العربية ، ص ٢٨ .
(٣٤) دروس في علم اصوات العربية ، ص ٣٠ .
(٣٥) علم اللغة ـ د . محمود السعران ، ص ١٦٥ .
(٣٦) اللغة ، ص ٦٥ .

والجزيرة وبعض المناطق الشمالية من المغرب كالناظور وما جاورها . وقوله "ومنهم من يجعله لاما مفخمة" . مسموع أيضاً وان كان قليلاً ، الا أنه يكثر في لفظ غير العرب، ولاسيما الذين يحرصون على نطقه ضاداً فصيحة من ائمة المساجد ، فانهم يأتون به لاما مفخمة ، او مطبقة . وقد سمعت بعضهم يقرأ في الصلاة (ولا الضالين) ، (ولا اللالين) بنطق الضاد لاماً مفخمة وايقاع اثر التفخيم على اللام التي تليها "لام الكلمة" . وقوله : "ومنهم من يشمه الزاي" ، مسموع على قلة ايضاً من غير العرب ، كقولهم في ضابط ومضبوط ، زابط ومزبوط ، ومنه ماكان يتندر به اباؤنا من قول بعض العجم : "التيمم زربتان ، زربة للوجه ، وزربة لليدان" يريد : التيمم ضربتان ، ضربة للوجه ، وضربة لليدين . على ان هذا الصوت ، اعني الزاي المطبقة يسمع من اكثر اهل مصر اليوم بدل صوت الظاء لا الضاد الاّ في الفاظ قليلة لايبعد ان تكون مما حفظوه عن غير العرب ، مثل كلمة : مزبوط .

اما قول ابن الجزري : "ومنهم من يمزجه بالذال" بالمعجمة كما ورد في المطبوع ، ففي النفس منه شيء ، ذلك ان جعل الضاد ظاء ، او لاما مفخمة ، او اشمامه الزاي ، فيه محافظة على الاطباق الذي في الضاد ، فالظاء مطبقة ، واللام المفخمة مطبقة ، وانما يأتي تفخيمها من ارتفاع وسط اللسان بها نحو طبق الفم واشمامه الزاي يعني الحفاظ على صفتي الجهر والاطباق فيه ، وادخال صوت الزاي عليه ، فتكون الزاي المطبقة عوضاً عن الضاد . ولو وافقنا ماورد في المطبوع من قوله يمزجه بالذال لآل ذلك الى ظاء ، وهو تكرار لافائدة منه ، لان الذال اذا دخلها الاطباق فهي الظاء ، اذ الظاء هو النظير المطبق للذال . ولايكون معنى لما ذكره حينئذ ، لذا يترجح عندي انه اراد الدال المهملة . وحينئذ يؤول صوت الضاد الفصيحة الى دال مطبقة اي الضاد المصرية الحديثة ، وهي شائعة اليوم عندهم في نطق الضاد الفصيحة . واذا كان ذلك كذلك ، اعني اذا كان مانبّه عليه ابن الجزري مزج الضاد الفصيحة بالدال حتى تخرج دالا مطبقة ، دلّ هذا على وجود صوت الضاد المصرية الحديثة على ايامه (ت٨٣٣هـ) لنطق الضاد الفصيحة كما دلّ على انه ليس صوت الطاء كما ذهب اليه د . ابراهيم انيس[٣٧] من ان الطاء القديمة كانت بصوت الضاد المصرية الحديثة ، ذلك ان الضاد المصرية ، او الدال المطبقة ، انحراف في نطق الضاد الفصيحة . ولو كانت الطاء تنطق دالا مطبقة ، لقال عن هذا النوع من الانحراف في نطق الضاد : ومنهم من يخرجه طاء . يقوّى ذلك ، اعني وجود نطق الضاد الفصيحة بالضاد المصرية الحديثة ، اي

(٣٧) الاصوات اللغوية ، ص ٦٢ .

الدال المطبقة . ماذكره ابن سينا في كلامه على الضاد ، وهو يذكر مخارج الحروف على ماكان يتذوقه ، لا على ماورد عند علماء العربية ، كما يبدو ذلك واضحاً من كلامه على المخارج حيث قال : "واما الضاد ، فانها تحدث عن حبس تام ، عندما تقدم موضع الجيم[٣٨]" . ومعلوم ان علماء العربية يصفون الضاد الفصيحة بانها حرف رخو ، اي انه لايحدث معها حبس تام ، وان المحدثين هم الذين وصفوا الضاد بانها صوت انفجاري ، اي ناجم عن حبس تام ، بناء على نطق الصوت عند المصريين[٣٩] .

والذي شجعني على قبول فكرة الخطأ المطبعي في قول ابن الجزري : ومنهم من يمزجه بالذال ، بعد هذا ، وان الصواب بالدال المهملة ، كثرة الاخطاء المطبعية في الكتاب ، في مثل هذا ، من ذلك قوله : "المخرج السابع للجيم والشين المعجمة والياء غير المدّية ... ، والجيم والياء يليان السين ، وهذه هي الحروف الشجرية[٤٠]" . وواضح ان الصواب : يليان الشين ، بالمعجمة ، لان الكلام على الحروف الشجرية ، ولامكان للسين بينها . ومنه قوله : "ومنها الحروف المستقلة وضدها المستعلية"[٤١] . وواضح ايضاً ان الصواب : المستفلة ، بالفاء لقوله : "وضدها المستعلية" ، اذ صفة الاستعلاء في الحروف ضد صفة الاستفال فيها . وغير هذا كثير في الكتاب .

هذه الاصوات التي نبّه عليها علماء العربية ، او حذّر منها علماء التجويد والقراءات ، وجدت طريقها اليوم الى النطق الفصيح كما اشرنا من قبل ، وغيرها ايضاً ، وهذا اوان التفصيل .

الثاء والذال والظاء :

اطلق علماء العربية القدماء على هذه الاحرف مصطلح الحروف اللثوية ، وتبعهم في ذلك بعض المحدثين[٤٢] . وفي هذه التسمية غرابة ظاهرة ، كيف لا وقد

---

(٣٨) اسباب حدوث الحروف ـ ابن سينا ، مراجعة طه عبدالرؤوف سعد ، ص ١٨ ، مصر ١٣٩٨ هـ .
(٣٩) انظر مثلا علم اللغة ـ محمود السعران ، ص ١٦٥ ، الاصوات اللغوية ، ص ٥١ ، مناهج البحث في اللغة ، ص ١٢٠ .
(٤٠) النشر ١ / ٢٠٠ .
(٤١) نفسه ١ / ٢٠٢ .

(٤٢) انظر : التطور النحوي ص ١٢ ، ودراسات في فقه اللغة ، ص ٢٧٩ .

قال سيبويه : "ومما بين طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء"(٤٣) ، واللثة كما هو معلوم يراد بها مقدم الحنك بما في ذلك مغارز الاسنان

ولو اطلق هذا المصطلح على حروف الصفير ، لكان قولا ، لان اللثة تسهم في اخراجها ، أو لو اطلق على حروف النطع ، لكان اجمل به وامثل ، لان مخرجها مما بين طرف اللسان واصول الثنايا .

العليا ، وفي اللسان : "واللثة مغرز الاسنان ، والحروف اللثوية : الثاء والذال والظاء ، لان مبدأها من اللثة"(٤٤) ، وقوله : "لان مبدأها من اللثة" لادليل عليه من وصف علماء العربية مخارج هذه الاصوات . وهذا التعليل ، ذكره ابن يعيش ايضاً فقال : "الظاء والذال والثاء من حيّز واحد، وهو مابين طرف اللسان واصول الثنايا ، وبعضها ارفع من بعض ، وهي لثوية ، لان مبدأها من اللثة(٤٥) . ويلاحظ ان قوله : "أصول الثنايا" سهو منه ، او من الناسخ ، او من الطابع ، والصواب : اطراف الثنايا ، كما ذكر سيبويه في وصف مخارج هذه الحروف ، وقد اوردناه آنفاً ، وليس فيه ذكر اللثة ، او اللثوية . كذلك ورد التعليل في كتاب العين حيث قال : "والظاء والذال والثاء لثوية ، لان مبدأها من اللثة(٤٦)" ولو صححنا الكتاب للخليل لنسبنا اصل التسمية اليه ، على انه لو كان الخليل استعمل المصطلح ، لوجدناه عند تلميذه سيبويه ، انّ "الذي لايحتمل النزاع او الشك ان نسبة هذه المصطلحات للخيل نسبة غير صحيحة ، والا فقد كنّا نتوقع ان نجد لها صدى في كلام سيبويه"(٤٧) .

والثاء هو الصوت المهموس من ثلاثة ، والذال نظيره المجهور ، والظاء نظير الذال المطبق ، ويبدو انه كان في اللهجات العامية في القديم نظير مطبق للثاء ، هو الذي وصفه علماء العربية بانه غير مستحسن ، ذكر ذلك سيبويه حيث قال : " بحروف غير مستحسنة ... والظاء التي كالثاء"(٤٨).

هذه الاصوات الثلاثة ، طرأ عليها تغير في بعض اللهجات العربية اليوم . سمعنا ذلك بما يكاد يطّرد في ثلاثة الاصوات في اكثر مدن المغرب ، كفاس والرباط

---

(٤٣) الكتاب ٢ / ٢٠٥ .
(٤٤) لسان العرب ، مادة (لثى) ، ٢٠ / ١٠٧ .
(٤٥) شرح المفصل ١٠ / ١٢٥ .
(٤٦) العين ١ / ٥٨ .
(٤٧) الاصوات اللغوية ، ص ١١١ .
(٤٨) الكتاب ٢/ ٤٠٤ .

ومراكش والدار البيضاء ، وهو مسموع في بعض هذه الاصوات في الفاظ معدودة من غير اطراد في نواح اخرى من الوطن العربي ، كما سيأتي ، فقد رجع اللسان قليلا بهذه الاصوات ، ليتصل طرفه بأصول الثنايا اتصالا تاما ، بعد ان كان يخرج هذه الاصوات باتصاله باطراف الثنايا اتصالا غير تام ، مما يسمح للهواء بالمرور من بينهما ، فصارت الثاء بذلك تاء ، والذال دالا ، والظاء دالا مطبقة او ضادا مصرية .

ولكي ندرك طريقة التحول الصوتي في الظاء عند اصحاب هذه اللهجة ، نذكّر بان صوت الضاد الفصيحة عندهم قد تحول الى دال مطبقة او ضاد مصرية ، ومعنى ذلك ان الظاء قد تحولت الى ضاد ، سواء بعد تحول الضاد الفصيحة عندهم الى دال مطبقة فتم تحول الظاء الى هذه الضاء الجديدة ام مّر تحولها بمرحلتين حيث صارت اولا ضادا فصيحة ان كانت تستعمل وقت تحول الظاء ، ثم تحولت الى دال مطبقة حين تحول صوت الضاد الفصيحة عندهم الى دال مطبقة .

والذي اعان على تحول الظاء الى ضاد في السنة هؤلاء ، هو هذا التقارض القديم بين الصوتين ، فالاضطراب فيهما قديم ، وتحول اللسان من احدهما الى الآخر وارد ، الا ان الملاحظ ان ماروى من تحول احد الصوتين الى الآخر يكاد يقتصر على تحول الضاد الفصيحة الى ظاء[٤٩] ، وليس العكس . فقد ذكر سيبويه ضادا في الحروف غير المستحسنة ، سماها الضاد الضعيفة كما تقدم ، ذكرها كانتينو ، ونقل بيانها عن السيرافي فقال : "ومنذ القديم كان هذا الحرف المعقد العسير على النطق عرضة للتغيير ، فقد ذكر النحاة القدامى منذ عهدهم نطقا مستهجنا لهذا الحرف اسموه الضاد الضعيفة ، وفي شرح السيرافي للكتاب ان هذه الضاد الضعيفة كانت تنطق كالظاء او بين الضاد والظاء[٥٠] " ، واوردها ابن جنّي ايضا من غير ان يبيّن المراد بها[٥١] ، وقال عنها ابن يعيش : "والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم ، فربما اخرجوها ظاء . وذلك انهم يخرجونها من طرف اللسان واطراف الثنايا ، وربما راموا اخراجها من مخرجها ، فلم يتأت لهم ، فخرجت بين الضاد والظاء[٥٢]" ، وهذا الذي نقله كانتينو عن السيرافي ، والذي ذكره ابن يعيش ، في النفس منه شيء ، فسيبويه ما كان يعجزه ان يقول وهو يذكر هذا الصوت : الضاد التي كالظاء ، كما قال : الطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالثاء ،

---

(٤٩) التطور النحوي ، ص ١٨ ـ ٢٠ ، الاصوات اللغوية ، ص ٥٠ ـ ٦١ .
(٥٠) دروس في علم اصوات العربية ، ص ٨٦ .
(٥١) سر الصناعة ١/ ٥١ .
(٥٢) شرح المفصل ١٠/ ١٢٧ ـ ١٢٨ .

وقد وصف مخرج هذه الضاد الضعيفة وصفا لايختلف عن وصف مخرج الضاد الفصيحة(٥٣). ولايبعد عندى ان تكون الضاد الضعيفة هذه ضادا فصيحة مهموسة ، ذلك ان الطاء اذا صارت كالتاء فهي طاء مهموسة (نذكر بان الطاء مجهورة بمصطلح القدماء) . وكذلك الظاء التي كالثاء ، هي ظاء مهموسة ، والضاد ليس من مخرجها شيء فيشبهها به ، فوصفها بالضعف لما احسه من فقدها الصوت الفرعي حين لايهتز الوتران بها ، أو حين جرى بها النفس على مصطلحهم .
ومما ذكروه من تحول الظاء الى ضاد - على قلته - مااورده ابن جنّي من قول الشاعر :

الى الله اشكو من خليل اوّده ثلاث خصال كلها لي غائض

فقالوا : أراد "غائظ" ، فأبدل الظاء ضاداً ، ويجوز عندي أن يكون "غائض" غير بدل ، ولكن من غاضه اي نقصه ، فيكون معناه انه ينقصني ويتهضمني(٥٤) .
وذكر السيوطي في المزهر(٥٥) احدى عشرة كلمة وردت بالضاد والظاء والمعنى واحد ، خمس منها مجيئها بالضاد هو الاصل او الاشهر ، وخمس مستوية في الاستعمال وواحدة الاصل فيها الظاء .

وقد وردت الظاهرة في بعض القراءات مما يشير الى قدمها ، ففي سورة التكوير آية ٢٤ ورد قول تعالى : (وما هو على الغيب بضنين) : قال ابو زرعة : "قرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي : (وماهو على الغيب بظنين) بمعنى : ماهو بمتهم على الوحي انه من الله ، ليس محمد ، صلى الله عليه وسلم ، متهما ، وقرأ الباقون (بضنين) بضاد ، اي ببخيل ، يقول : لايبخل محمد ، صلى الله عليه وسلّم ، بما آتاه الله من العلم والقرآن ، ولكن يرشد ويعلّم ويؤدي عن الله جل وعز"(٥٦) . وروى ابو علي القالي في أماليه : أن رجلا قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ياأمير المؤمنين ، ايضحى بضبي؟ قال : وما عليك لو قلت : بظبي؟ قال : انها لغة ، قال : انقطع العتاب ولايضحى بشيء من الوحش"(٥٧) . فهذه الرواية فيها اشارة الى أن بعض العرب جعل الظاء ضادا ، وزعم أن ذلك لغة في الظبي ، لم يسمعها عمر .

---

(٥٣) الكتاب ٢/ ٤٠٤ .
(٥٤) سر الصناعة ١/ ٢٢٢ .
(٥٥) المزهر ١/ ٥٦١ - ٥٦٣ .
(٥٦) حجة القراءات لابي زرعة ، تحقيق سعيد الافغاني ط ٢ ص ٧٥٢ بيروت ١٣٩٩ هـ .
(٥٧) ذيل الامالي والنوادر - لابي علي القالي ، ص ١٤٢ ، مصورة عن طبعة مصر

واكثر من رايناه من اهل المغرب اليوم ينطق الضاد دالا مفخمة ، الا في المغرب الشرقي كما في وجدة وبركان والناظور ، حيث يلفظونها ظاء ، والذين يلفظون الضاد دالا مفخمة ينطقون ماهو بالظاء في الاصل بهذه الضاد ايضا ، فالحرف الاول في ضرب ينطق دالا مفخمة ، ومثله الحرف الاول في ظلم اذ ينطق دالا مفخمة ايضا ، ولذا لايفرق عندهم بين الصوتين . وهذا معاكس كل المعاكسة لنطق اهل المغرب الشرقي ولنطق العراقيين ايضا ، حيث ينطق الصوتان بالظاء الفصيحة ، اي ظرب وظلم . وقد انتقل هذا النطق الى الفصيح . والطلبة في المغرب وفي العراق يبذلون جهدا كبيرا كي يتقنوا كتابة الضاد والظاء ، ومع ذلك يقعون في الخطأ ، لان آذانهم لم تسمع نطقا مختلفا للحرفين ، بل انهما ينطقان بصوت واحد ، سواء اكان بضاد مصرية كما في اكثر نواحي المغرب ، ام بظاء فصيحة كما في العراق والمغرب الشرقي . فحينما نقول مثلا : ضل زيد في البستان ، وننطقها دالا مفخمة في المغرب ، لايستطيع السامع ان يقطع انعني بقي ، ام تاه ، اي : لو كتبتها اتكتبها بالضاد ام بالظاء ؟ والجملة نفسها ننطقها في العراق : ظل زيد في البستان ، وحينئذ لايعلم اتريد بقي ام تاه ايضا ؟ اي : اتكتب بالظاء ام بالضاد ؟ وقل مثل ذلك عن نطق الحض ، اي : الحث ، والحظ : اي الجد والبخت ، والضن ، اي : البخل ، والظن ، اي : الحسبان او الاتهام ، والعض الذي يكون بالاسنان ، والعظ لصق الخصم بالارض . وقد جمع ابن مالك طائفة من الالفاظ التي تكون بالضاد بمعنى . وبالظاء بمعنى اخر ، في كتابه "الاعتماد في نظائر الظاء والضاد(٥٨)" اربت على الثلاثين . ومما ورد فيه : الحاضر اسم فاعل ، من : حضر يحضر فهو حاضر ، وهو الشاهد المقيم ضد الغائب . واما الحاظر بالظاء ، فاسم فاعل ، من حظرت الشيء حظرا اذا منعته ، وهو ضد الاباحة(٥٩) . ومنه الغيض والغيظ فاما الغيض بالضاد . فمصدر غاض الماء اذا قل ونضب . واما الغيظ بالظاء ، فمصدر غاظه اذا اغضبه . ومنه الفض والفظ . فاما الفض بالضاد ، فمصدر فض الشيء اذا كسره وفرقه . واما الفظ بالظاء ، فهو الرجل الغليظ القلب المتجهم . ومنه الناضر والناظر . فاما الناضر بالضاد ، فاسم فاعل ، من : نضّر الله الشيء اذا نعّمه وحسّنه فهو ناضر ، قال الله جل ثناؤه : (وجوه يومئذ ناضرة) ، واما الناظر بالظاء فاسم فاعل ، من : نظر ينظر فهو ناظر ، وهو المتأمل الشيء بالعين . ومنه النضير والنظير ، فأما النضير فالشيء البهيج ، والنضير

---

(٥٨) مجلة المجمع العلمي العراقي ج ٣ م ٣١ ، سنة ١٩٨٠ تحقيق د . حاتم الضامن .
(٥٩) نفسه ، ص ٢٢ – ٢٣ .

الدهب ... واما النظير بالظاء ، فالمثل ، يقال : فلان نظير فلان اذا كان مماثلا له [٦٠] .

والمخلص عندى من هذا اللبس ان يصار الى نطق الضاد دالا مفخمة ، اي ضادا حديثة ، وان ننطق الظاء ظاء فصيحة ، يلتزم بذلك المعلمون ، ويلزمونه لطلبتهم ، وتلتزم به اجهزة الاعلام . ولاشك في ان الزمن وشيوع الاستعمال كفيلان بتثبيت هذين الصوتين والقضاء على هذا المشكل الذي يعاني منه الكثيرون من المتحدثين بالعربية في المشرق والمغرب على حدّ سواء .

والذين يجعلون الظاء ضادا حديثة او مفخمة ، رجعت عندهم الظاء والثاء والذال الى الوراء ، فصارت الظاء ضادا حديثة ، والثاء تاء ، والذال دالا . وبذلك تحولت الاصوات من الرخاوة الى الشدة ، وانتقلت دلالة الالفاظ في كثير مما دخله هذا التغيير ففي العربية من الالفاظ ما يتفق في اصلين ، ويختلف في الثالث بين الثاء والتاء ، والذال والدال ، والظاء والضاد ، اما الظاء والضاد فقد اوردنا شيئا من الالفاظ التي يؤدي توحيد نطقها فيها الى معنيين . واما الثاء والتاء ، فقد التقطنا من اللسان مما يدخل تحت هذا الباب الفاظا منها : البحث الذي هو التفتيش يؤول الى البحت وهو الصرف ، والبثّ اي النشر يصبح البتّ وهو القطع ، والمؤنث الذي هو عكس المذكر ، يصبح المؤنت بمعنى المحّسد ، والتثريب اي اللوم يؤول الى التتريب وهو التلطيخ بالتراب ، والثرثرة التي هي التدفق وكثرة الكلام تلفظ الترترة وهي التحريك ، والثّل : الهدم ، والتّل الجذب ومنه قوله تعالى (وتلّه للجبين[٦١]) ، والثور الحيوان المعروف ، والتور اناء يشرب فيه ، واثمر الرجل : كثر ماله : واتمر : صار ذا تمر ، والمثابة : المنزل ، والمتابة : التوبة ، وثوّاه : اسكنه ، وتوّاه : اهلكه ، والحث : الحض ، والحت : الفرك ، وخثر اللبن : تماسك ، وختر : غدر . وقد كنت اشفق على مقدمة احدى فقر ''الرائي[٦٢]'' في مدينة الرباط وهي تقرأ العنوان ''التراث الاصيل)وهي فقرة اسبوعية ، فتارة نسمعها منها : الثراث بثائين ، واخرى : الترات بتاء فتاء ، وثالثة : التراث بصورتها الصحيحة .

(٦٠) نفسه ، ٤١ ـ ٤٩ .

(٦١) سورة الصافات ، الآية ١٠٣

(٦٢) لفظة اقترحها الاستاذ علي الطنطاوي في مقابل ''تلفزيون'' ، وهي فاعل بمعنى مفعول .

ومن العرب من يجعل الثاء سينا ، ولا سيما في مصر وبعض بلاد الشام فالمثقف في لفظه مسقّف ، وثار : سار ، والثلم السلم ، وتشبث بالشيء تشبس ، وتعثر : تعسر ، وعاث : عاس ، والغثّ : الغس ، وحينما سئلت ممثلة مصرية معروفة عن اسمها غير الفني ، قالت : انه لايختلف عن اسمها الفني فهي (سناء) بالسين وليس بالثاء ، مما يظهر احساسها بالاضطراب الصوتي الحاصل بسبب الانتقال من الثاء الى السين ، وفي تمثيلية مصرية يظهر الاستاذ غضبه الدائم من أحد طلابه ، لانه كتب له حيثما بالسين . ولست ادري كيف يستطيع الطالب أن يكتبها بالثاء وهو لايكاد يسمع من المتحدثين بالفصيحة ممن يسمعهم الا حيس وحيسما ؟ .

والذين تحولت الثاء عندهم الى سين يميلون الى اصوات الصفير كما يبدو ، فقد تحولت الظاء عندهم في كثير من الالفاظ الى الصوت الذي جعله سيبويه في اصوات الصفير المستحسنة ، وهو الصاد التي كالزاي ، او كما قال ابن الجزري : الصاد المشمّمة ، وهي التي بين الصاد والزاي ، او كما عبرنا عن ذلك بقولنا : الزاي المطبقة او المفخمة ، فالظلم عندهم يلفظ : الزلم ، والظن : الزن ، وظلّ : زلّ .. وهكذا .

اما الذال ، فقد جعلها بعض العرب اليوم دالا ، وجعلها غيرهم زايا . فالعذل الذي هو اللوم يصبح عدلا عند قوم ، وعزلا عند آخرين ، وذرّ : يؤول الى درّ او زرّ ، وذلّ : دّل او زّل ، وبذّل : بدّل او بزّل ، وحذّره : حدّره او حزّره ، وحذّ : حدّ او حزّ ، والمعذّر : تؤول الى المعزّر ، وذبّ ، دبّ ، وذاد : زاد ، وبذأ الرجل الامر اي كرهه تصبح بدأه اي دخل فيه .

ورجوع هذه الاصوات الى الوراء وتحولها من الرخاوة الى الشدة ، ظاهرة قديمة ، قال كانتينو : "ولهذه الحروف الرخوة التي مخرجها من بين الاسنان نزعة منذ القدم الى الانقلاب حروفاً شديدة أسنانية ، وذلك في بعض لهجات المناطق المتاخمة للهجات آرامية ، من ذلك مانجده في المركومات اليونانية في حوران وفي تركونيديت وفي بلاد الانباط من تصوير الثاء في الاسماء العربية بواسطة التاء اليونانية ، لا الثاء اليونانية[٦٣]" . ومن حديث تحول الثاء تاء ماذكره طه باقر من أن كلمة كمثرى تنطق بالارامية كمترى بالتاء[٦٤] ، وكلمة برغوث تنطق بالاوغاريتية بالتاء ايضاً برغوت[٦٤]" .

---

(٦٣) دروس في علم اصوات العربية ، ص ٦٥ .
(٦٤) من تراثنا اللغوي القديم ، ص ١٣٣ ، ٥٧و٤١و٣١ .

اما انتقال الذال الى دال ، فمما ورد منه في اللغات الجزرية (السامية) كلمة أذان العربية ، التي صارت بعد الاسلام تعني النداء لمواعيد الصلاة ، وهي في الاصل بمعنى الاعلام (ففي الاكدية توجد كلمة ادانو بكثرة ، وتعني بالدرجة الاولى الموعد ، أو مدة زمنية ، أو يوماً معيناً ، ويضاهيها في الآرامية عدان أو عيدان[٦٤]" ، ومن ذلك ايضاً قولهم في الاكدية "أدارو أركو ، اي آذار الثاني ، أو التالي[٦٤]" ، ترى ايمكن ان نرى في مثل هذا الانتقال الصوتي بعض مايدل على اصالة العربية وفرعية ماأطلق عليه الساميات أو اللغات الجزرية ، على أية حال هي ملاحظة بها حاجة الى تأمل واستقراء . ومن حديث الذال والدال ماأورده ابن جني في سر الصناعة[٦٥] حيث قال : "وانشدنا ابو علي لابن مقبل :

ياليت لي سلوة يشفي الفؤاد بها ... من بعض مايعترى قلبي من الدّكر

بالدال ، يريد : الذّكر ، جمع ذكِرة ، وليس هنا مايوجب البدل" .

ومن مثل هذا ماذكره الجاحظ عن بعض غير العرب في نطق الفاظ بالدال وهي في العربية بالذال ، كالذي حكاه عن أم ولد لجرير الشاعر ، حين قالت لولدها :

وقع الجردان ، بالدال ، وهي تريد الجرذان ، وكقوله "والصقلبي يجعل الذال المعجمة دالا في الحروف[٦٦]" .

وظاهرة الانتقال من الظاء والثاء والذال الى الضاد الحديثة والتاء والدال نسمعها بكثرة في المغرب كما تقدم ، بل انها انتقلت الى الفصيح في غير قراءة القرآن ، حتى لايكاد متحدث بالعربية الفصيحة ينجو من بعض آثار هذا الانتقال ، وقد اشار كانتينو[٦٧] الى الانتقال في هذه الاصوات في اللهجات العامية ، وجعل التحول عن اصوات مابين الاسنان عاماً ، ولا نرى الاطلاق الذي ذكره موفقاً ، فالحروف التي من بين الاسنان باقية في لهجتنا في العراق بصورة تكاد تكون مطلقة ، الا ما كان في الفاظ معدودة لاتشكل ظاهرة يوقف عندها ، كابدال الثاء الاولى تاء في ثلاثة وفي ثلاثين ، وابدال الذال دالا في : استاذ ، الا ان ذلك ، لم يجد له طريقاً الى السنة المتحدثين بالعربية الفصيحة

اما ابدال هذه الاصوات اصواتاً صفيرية ، فهو نوع من رجوع الصوت بها الى الوراء ايضاً ، الا انه بدلا من تحوله الى الشدة ، حوفظ فيه على الرخاوة ، فجاءت

---

(٦٥) سر الصناعة ١ / ٢٠٢ .
(٦٦) البيان والتبيين ١ : ٧٣ و ٧٤ .
(٦٧) دروس . ص ٦٧ .

الظاء زاياً مطبقة ، أو ان شئت فقل صاداً مجهورة ، وهذا الصوت نسمعه كثيراً في بعض اللهجات العامية في مصر ، وقد أشار اليه د . تمام حسان[٦٨] . وهو وان كان شائعاً في عامية القاهرة مثلا ، الا اننا لانكاد نجد له اي اثر في السنة الذين ينطقون به في عاميتهم اذا استعملوا العربية الفصيحة . اما الثاء ، فقد جعلت سيناً كما تقدم . ويمكن ان نجد اثراً من ذلك في اللغات الجزرية (السامية) وان كان بصورة غير مباشرة ، فالقاعدة في ذلك قلب الثاء العربية شيناً ، فالقثّاء قشّو في البابلية ، والكراث كراشو فيها والكمثرى كمشارو ، فالثاء العربية تكون شيناً في البابلية على وفق قانون تبادل الاصوات في اللغات الجزرية[٦٩] (الساميات) وقد اورد ولفنسن[٧٠] عدداً من الالفاظ التي بالثاء في العربية وجدناها بالشين في البابلية ، وبالسين في لغات جنوب الجزيرة والحبشة ، فهل يمكن ان يقال ان التحول تم بمرحلتين ، اي : ان الثاء صارت سيناً ثم صارت السين شيناً ؟ وهل يمكن ان يكون ذلك سبباً من أسباب القول باصالة العربية وفرعية غيرها من اللغات الجزرية ؟ فاثنتان صارت سنيت في جنوب الجزيرة والحبشة ، ثم صارت شناً بالبابلية . وفي هذا الطريق سارت الالفاظ الاخرى ، كثلاث وثمان وثور وثوم ، أي : ثلاث ←— شلاس ←—— شلاشو ، ثمان ←— سماني ←— شمانو ، ثور ←— سور ←— شورو ، ثوم ←— سومات ←— شومو .

فان قيل : وما يمنع العكس ؟ اعني ان تكون اللفظ التي بالبابلية هي الاصل ، وانتقلت بالتغيير الى لغة جنوب الجزيرة والحبشة ومنها الى العربية . قلنا : لامانع ، الا انه لاحجة لهذا القول ، والحجة لما اوردناه : انه ليس هناك تقارض بين الثاء والشين فيما نعرفه من اصوات لغوية ، والتقارض كثير بين السين والشين سواء في اللغات الجزرية (السامية) كما ذكر ولفنسن[٧١] ، أو في اللفظ العربي اذا رامه غير العربي كما ذكر الجاحظ[٧٢] ، وتحول الثاء الى سين كثير فاشٍ في اللهجات العامية اليوم ، والعكس لايكون الا لعيب في النطق . وروى الجاحظ ان بعضهم يراه أحسن اللثغ ، قال : "وتذاكروا اللثغ ، فقال قوم : احسن اللثغ ماكان على السين ، وهو ان تصير ثاء ..[٧٣]" . فان يكون طريق اللفظ من الثاء الى

---

(٦٨) مناهج البحث في اللغة . ص ١٢٦ .

(٦٩) من تراثنا اللغوي . ص ١٢٣ . ١٢٨ . ١٣٣ . ٣٦ . ١٣٩ .
(٧٠) تاريخ اللغات السامية . ص ٢٨٣ و ٢٨٥ .
(٧١) نفسه . ص ٢٠ .
(٧٢) البيان والتبيين ١ / ٧١ . ٧٢ . ٧٤ .
(٧٣) نفسه . ٢ / ٢٣٢ .

السين ثم الشين ، أولى من العكس ، لما اوردناه . ومن تحول الثاء الى سين قولهم : مرس الصبي اصبعه ، فقد نقل السيوطي[٧٤] ان ذلك لغة في مرثه ، أو لثغة .

وأما نطق الذال زاياً ، فيمكن ان نجد شواهده في اللغات الجزرية (السامية) حيث ينطق بالزاي في البابلية ماجاء بالذال في العربية في عدد غير قليل من الالفاظ[٧٥] ان لم نقل انه يكاد يكون قانوناً عاماً في ذلك ، فالاذن في العربية أزنو في البابلية ، وأخذ : اخوز ، وذئب : زيبو ، وذكر : زكرو ، وهكذا .

الراء :

مما تحول فيه الصوت الفصيح عند بعض العرب عما كان عليه ، ودخل في النطق بالفصيحة في ايامنا ، حرف الراء ، وهو (صوت لثوى تكراري مجهور ، ينطق به بترك اللسان . مسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين ، فيرفرف اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات مكررة[٧٦]'' . ومخرجه على ماذكر سيبويه من طرف اللسان بينه وبين مافوق الثنايا حيث مخرج النون ''غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام[٧٧]'' .

وقد تراجع اللسان نحو الغار في اثناء النطق به في بعض البلاد مع ارتفاع مؤخرته نحو الحنك الاعلى قليلا حيث مخرج الواو ، وقد يزيد مافيه من انحراف اللام عند بعضهم ، وعلى ذلك لفظ الكثير ممن سمعناهم من اهل فاس بالمغرب . وقد كان هذا معروفاً عند علماء العربية ، وقالوا عنه انه لثغ أو مايشبه اللثغ[٧٨] ، الا انه لم يكن يشكل ظاهرة واسعة تستحق ان يقفوا عندها ، فمن ذلك ماذكره الجاحظ حيث قال : ''وأما اللثغة في الراء ، فتكون بالياء ، والظاء ، والذال ، والغين وهي اقلها قبحاً ، وأوجدها في ذوي الشرف وكبار الناس وبلغائهم وعلمائهم[٧٩]'' . وهي اليوم ظاهرة تستحق الوقوف عندها والتنبيه عليها ، ولا سيما بعد ماسمعنا من نطقها من كثير من المثقفين في المغرب وبصورة خاصة من اهل فاس كما قدمنا ، ذلك ان انتقال هذه اللثغة الى النطق الفصيح على ماهو عليه عندهم اليوم يعرض الراء الفصيحة للاضمحلال ، ولاسيما انهم داخلون تحت قول الجاحظ ''وهي اقلها قبحاً وأوجدها في ذوى الشرف وكبار الناس وبلغائهم وعلمائهم'' . أو ليست فاس عاصمة المغرب العلمية ؟ اننا نخشى اذا لم يتدارك

---

(٧٤) المزهر ١/ ٥٥٧ .
(٧٥) تاريخ اللغات السامية . ص ٢٨٣ . ٢٨٧ .
(٧٦) مناهج البحث في اللغة . ص ١٣٢ .
(٧٧) الكتاب ٢/ ٤٠٥ .
(٧٨) المزهر ١/ ٥٦٦ .

(٧٩) البيان والتبيين ١/ ٣٧ . وانظر الشواهد التي اوردها في ص ٣٥ .

الامر في هذه البلاد ان يصيب الراء فيها ماأصاب الراء في فرنسة ، حيث جعلها أهل باريس اشبه بالغين ، ثم صارت اليوم لاتدرس الا على هذا الاساس . ولايلفظونها الا غيناً .

الجيم :

وصف سيبويه الجيم بالشدة وهو بهذا الوصف عند علماء العربية جميعاً ، قال : " ومن الحروف الشديدة ، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة .. والجيم .. وذلك انك لو قلت الحج ، ثم مددت صوتك لم يجر ذلك ، ومنها الرخوة وهي الهاء والحاء ... أجريت فيه الصوت ان شئت[٨٠] .. " وتجربة جري الصوت بالحرف عند الوقف وسيلة عملية للتفريق بين الشديد والرخو ، كما في قولك : الحج والحس ، فأنت تستطيع أن تمد الصوت بالثاني ، ويتعذر عليك ذلك من الاول . وقد اطلق بعض المحدثين[٨١] ، على الشديد لفظ الانفجاري ترجمة لقولهم Plosive حيث يحبس الهواء في نقطة ما من مجرى الصوت ، ثم يفرج عنه فجأة مكوناً صوتاً انفجارياً . واطلق على الرخو لفظ الاحتكاكي ترجمة لقولهم Fricative حيث يضيق مجرى الهواء في جهاز الصوت في نقطة مّا بحيث يحدث الهواء المار فيها احتكاكاً من غير أن يقفل المجرى قفلا كلياً في تلك النقطة .

فالجيم في العربية الفصيحة حرف شديد او انفجاري ، ويكون بهذه الصفة حين يلفظ معطّشاً[٨٢] ، وعليه لفظ كثير من العرب اليوم كما في اكثر نواحي العراق والخليج العربي والمناطق الجنوبية من المغرب ، الا ان بعض العرب أشربه صوت الشين كما في بلاد الشام ، فتحول الى صوت رخو أو احتكاكي ، وهو غير الصوت الذي وصفه علماء العربية الذين شافهوا العرب ووصفوا أصواتهم . وقد وجدت ذلك فاشياً ايضاً في النطق الفصيح في بعض نواحي المغرب كالرباط مثلاً ، كما وجدته يلفظ معطشاً شديداً كما وصفه علماؤنا في نواح أخرى منه كما في العيون ، ومن يستمع الى تلاوة المقرىء عبد الحميد احساين وهو من الجنوب في المغرب يجد الجيم الشديدة المعطشة كما وصفها علماء العربية . اما غيره من القرّاء ، فهي عندهم رخوة مشربة صوت الشين ، مظهرة أثر العامية في الفصيح ، حتى وجدنا ذلك الاثر وان كان قليلا يظهر احياناً في تلاوة الحاج عبدالرحمن بن موسى وهو من علْيَة مجودي القرآن الكريم في المغرب .

---

(٨٠) الكتاب ٢/ ٤٦٠ .
(٨١) انظر مثلا : علم اللغة للسعران . ص ١٦٦ .
(٨٢) المعطش عندنا هو الجيم الذي لم يشرب صوت الشين

مشكلة الجيم في اصوات المتكلمين بالفصيحة اليوم ، تناولها بشيء من التفصيل د . ابراهيم أنيس في كتابه الاصوات اللغوية(٨٣) ، فقال : "ليس لدينا من دليل يوضح لنا كيف كان ينطق بالجيم بين فصحاء العرب ، لانها تطورت تطوراً كبيراً في اللهجات العربية الحديثة ... وأبناء العربية في العصر الحديث يختلفون في نطق الجيم حين تعرض لهم في نصوص فصيحة فمعظم المصريين ينطقون بها شديد .. ومخرجها في نطقهم أقصى الحنك ، وبعض البدو ينطقون بالجيم المسماة الفصيحة .. أما أهل الشام وبعض المغاربة فينطقون بها كثيرة التعطيش [الاشراب(٨٤)] خالية من الشدة .. ومخرج النوعين الاخيرين وسط الحنك ... وكان استاذ الاصوات في لندن بروفسر فرت يقول لي حين تدارسنا هذا الامر : لو قلت لي : ان نطق الجيم بدون تعطيش [اشراب] هو الاصل . استطعت في سهولة أن افسر لك كيف صارت الى التعطيش [الاشراب] ، بل استطعت ايضاً ان ادلك على نظير لهذه الظاهرة في تطور الاغريقية واللاتينية الى اللغات الاوربية الحديثة . اما اذا قلت العكس أي ان الاصل هو الجيم المعطشة [المشربة] ، فعليكم أنتم أن تفسروا هذا .. صوت الجيم (G) في كل من الاغريقية واللاتينية خلا من التعطيش [الاشراب] وظل هكذا في الالمانية ، ولكنه في الفرنسية والانجليزية تطور في كثير من الكلمات ، فأصابه التعطيش [الاشراب] حين وليه حركة امامية مثل i, e ، وظل على حاله ، أي دون تعطيش [اشراب] حين وليه حركة خلفية أو خلا من الحركة .... قمنا بعملية احصائية للكلمات القرآنية التي تشتمل على الجيم بوصفها فاء للكلمة ، فوجدناها على حسب ما جاء في " المعجم المفرس لالفاظ القرآن الكريم" محركة بالفتحة ١١٠٧ مرة ، ومحركة بالكسرة ١٥٧ مرة ، ومحركة بالضمة ١٠٢ مرة ... وليس من المغالاة أن نقيس نسبة حركات الجيم في كل الفاء اللغة على تلك النسبة القرآنية ، ويمكن من أجل هذا أن نقرر ـ ونحن مطمئنون ـ ان الجيم حين تحرك تؤثر في اللغة العربية الحركة الامامية أي الكسرة أو الفتحة المرققة ، وعليه فلسنا ندهش حين تتطور من صوت خال من التعطيش [الاشراب] الى صوت معطش [مشرب] ، لان الحركة الامامية قد جذبتها الى الامام ، وأصبح مخرجها اقرب الى وسط الحنك بعد أن كان اقصى الفم ... ويقول القدماء ان الجيم حرف شديد ، ومع ذلك يجعلون مخرجه من وسط الفم مع الشين ، وهما أمران متناقضان ..." .

---

(٨٣) انظر : ص ٧٧ ـ ٨٣ .

(٨٤) هذه الزيادة منا . لان الجيم المعطش عنده هو الذي اشرب صوت الشين ، فزدناها للايضاح .

وههنا جملة أمور نحب أن نقف عندها ، أولها هذا المصطلح الغريب " التعطيش " و " الجيم المعطشة " وهو يعني بها الجيم المشربة صوت الشين . وقد اجتهدت في البحث عن هذا المصطلح في كتب المتقدمين حين بحثوا في هذا الصوت كسيبويه والمبرد وابن جني والزمخشري والاستربادي وابن الجزري والسيوطي ، فلم أجد له اثراً عندهم ويبدو أنه مصطلح حديث ، أو متأخر أخذه ، بعض المحدثين ، فشاع ، وأول من وجدته يستخدمه بهذا المعنى المستشرق الالماني برجستراسير في التطور النحوي حيث قال : " وأما الجيم ، فهي عند اكثر العرب معطشة مركبة من لفظي الدال والزاي[٨٥] ، أي ال (ge) الفرنسية[٨٦] " ثم تبعه جمهور الذين كتبوا في وصف أصوات العربية بعده .

وقد تحدث علماء العربية عن هذه الجيم ، فذكرها سيبويه في الحروف المستحسنة ، وقال عنها : " الجيم التي كالشين[٨٧] ، ووصفها الرضي الاستربادي بأنها اشربت صوت الشين حيث قال وهو يتكلم على اجتماع الجيم وهي شديدة مع الدال أو التاء وهما شديدتان ايضاً في نحو اجتمعوا وأجدر : " لكن الطبع ربما يميل لاجتماع الشديدين الى السلامة واللين فيشرب الجيم مايقاربه في المخرج وهو الشين[٨٨] " . ولست اري احسن في الاصطلاح من أن تسمى الجيم الشامية الجيم المشربة ، نعني المشربة صوت الشين ، والجيم الفصيحة الجيم المعطشة نعني التي عطّشت فلم تشرب صوت الشين . أما الجيم المصرية ، فهي كاف مجهورة .

وأما ماأورده عن الاستاذ فرث من تغير صوت الجيم من الفصيحة المعطشة الى الشامية المشربة ، فالذي نراه فيه أن التحول ممكن بين الصوتين ، وليس تحول الصوت بتقدمه الى الامام أمراً حتمياً . فقد يتقدم الصوت ، وقد يتأخر ، وقد يكون مشرباً ثم يعطش ، أو قد يكون معطشاً ثم يشرب ، كل ذلك ممكن ، ولا دليل على منع أي من الممكنات . ألا يرى أن الجيم المصرية ، وهي كاف مجهورة ، كانت جيماً فصيحة في الاصل ، والفصيحة ــ كما سيأتي ــ يمكن أن يقال انها كانت كافا مجهورة قبل ان يصف علماء العربية أصواتها ، شأنها في ذلك شأن اللغات الجزرية (السامية) الاخرى ، أي أن الجيم المصرية اليوم كانت قد مرت بالمسير الصوتي الآتي :

---

(٨٥) هذا الرمز يعني عنده الجيم المشربة .
(٨٦) التطور النحوي ، ص ١٧ .
(٨٧) الكتاب ٢/ ٤٠٤ .
(٨٨) شرح الشافية ــ للرضي الاستربادي ، تحقيق محمد نور وصاحبيه ٢/ ٢٥٦ . ط بيروت ١٣٩٥ هـ .

ك "في زمن ماقبل عصر وصفها" ←—— ج "على ايام علماء العربية الاول" ←—— ك على أيامنا .

ونحن لا نخالفه في أن الجيم الفصيحة لم تكن مشربة صوت الشين ثم اشربت فهذا الذي نقول به ، الا اننا نريد أن ننبه على جواز الاحتمالات الاخرى ، ولايبعد عندنا أن يكون صوت الجيم العربية القديمة كصوت الكاف المجهورة ، أي كالجيم المصرية ، وذلك في زمن متقدم على الزمن الذي عاش فيه علماء العربية الذين وصفوا اصواتها . ولكننا لانسلم انها كانت هكذا يوم وصف علماء العربية اصواتها ، فقد ذكر أن اللغات الجزرية (السامية) القديمة فيها كاف مجهورة يقابلها في العربية صوت الجيم ، قال طه باقر : "توجد في اللغة الاكدية والبابلية والآشورية) كلمة تكاد تطابق العربية "اجانة" و "انجانة" ، وهي : أكنو (Agannu) ... والواقع اللغوي أن هذا الصوت أصل في اللغات العربية القديمة (السامية) وتكاد الغربية الحديثة تنفرد بصوت الجيم[٨٩]" . وهذا الذي ذكره من تباين العربية واللغات الجزرية الاخرى في هذا الصوت ، يقوّيه جملة الفاظ وردت على هذه الصورة : منها : مرجان ، وهي في الاكدية : مركانو ، ونجّار ، نكار ، وفجل ، فكلو ، وفيه ايضاً تقوية لما ذهب اليه فرث من قدم صوت الجيم التي كالكاف المجهورة وحداثة الجيم المشربة صوت الشين ، وهو ماقلنا اننا نميل اليه ، الا أن ذلك كان قبل تدوين علمائنا صفات الحروف . هذا على أن هذا الصوت ، أعني الجيم التي هي كاف مجهورة ، كان معروفاً في قبائل العرب يوم وصفت الحروف ، ولكنه لم يكن في فصحاء العرب الذين ترتضى الفاظهم ، فقد ذكر سيبويه في الحروف المستقبحة التي ليست كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر الجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين[٩٠] ، فالجيم التي كالكاف صوت عرفه علماء العربية منذ سيبويه وجعلوه في الفروع غير المستحسنة .

أما قول د . ابراهيم أنيس : "ويقول القدماء ان الجيم حرف شديد ومع ذلك يجعلون مخرجه من وسط الفم مع الشين ، وهما أمران متناقضان" ، فالذي يظهر لنا أنه ليس هناك أي تناقض في كلام علماء العربية ، ذلك انهم وصفوا الصوت المسموع في زمانهم ، هذا على انه ليس في الدراسة الصوتية مايمنع أن يكون حرفان من مخرج واحد ، أحدهما شديد والآخر رخو ، ذلك أن عضوي النطق في موضع معين

---

(٨٩) من تراثنا اللغوي . ص ٥٣ . وانظر في الالفاظ الاتية ص ١٤١ و ١٤٧ و ١١٩ .
(٩٠) الكتاب ٢/ ٤٠٤ .

اذا اقتربا حتى يحدث الهواء المار من بينهما احتكاكاً ، كان الصوت الصادر بهذه الهيأة رخواً ، أو احتكاكياً ، فاذا زاد قرب العضوين حتى يتصلا ثم ينفصلا فجأة كان الصوت شديداً أو انفجارياً . ومثال ذلك في العربية غير الجيم والشين والياء ، الهاء والهمزة ، فالهاء من الوترين باقترابهما حتى يحدث الهواء المار من بينهما احتكاكاً من غير أن يؤدي الى اهتزازهما . أما الهمزة فتكون بانغلاق الوترين انغلاقاً تاماً ثم انفراجهما ، فالهمزة من مخرج الهاء الاّ انها شديدة ، والهاء رخوة . وهذا مما لا خلاف فيه على ما نعلم . كما اننا نرى في العلاقة التعاملية بين الجيم وكل من الشين والياء مايؤكد مذهب علماء العربية في اتفاق هذه الاحرف في المخرج ، ذلك انهم نصوا على أن " أصل القلب في الحروف انما هو فيما تقارب منها ، وذلك : "الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه[٩١]" وقد نُصّ على مجيء الجيم بدلا من الياء في نحو قوله[٩٢] : عمّي عُوَيْف وأبو عَلَجّ ، يريد :

وأبو عليّ ، وقوله : مرجّ ، يريد : مريّ ، وقوله : قرون الاجّل ، يريد : الأيّل ، وقوله : "لاهمّ أن كنت قبلت حجتج" ، يريد : حجتي .

ومما ورد عكس ذلك ، اعني ماأبدلت الجيم فيه ياء مارواه القالي[٩٣] من قول أم الهيثم :

اذا لم يكن فيكنّ ظلّ ولاجنى فأبعدكنّ الله من شِيَرات

تريد : شجرات ، وقولها " شِيَرة" في : " شجرة" ، وتصغيرها على شُييرة ، وهو ابدال فاشٍ في كلام الناس اليوم في مناطق كثيرة من العراق والخليج[٩٤] .

أما الجيم والشين ، فقد اوردنا آنفاً كلام العلماء على اتصال الجيم بالشين ، وكونها تشرب صوت الشين لقربها منها ، ولولا ذلك القرب ما اشربت الصوت ، كما ورد عن العرب ابدال الجيم شيناً في قوله :

(إذ ذاك اذ حبلُ الوصال مُدْمَشُ
أي : مُدْمَج ، فالشين بدل من الجيم"[٩٥] .

---

(٩١) سرّ الصناعة ١/ ١٩٧ .
(٩٢) نفسه // ١٩٢ - ١٩٣ .
(٩٣) الامالي لابي علي القالي ٢/ ٢١٤ ، مصورة عن طبعة مصر غير مؤرخة .
(٩٤) انظر ابدال الجيم ونحوها في دروس في علم اصوات العربية ، ص ٨٨ - ٩٦ .
(٩٥) سرّ الصناعة ١/ ٢١٥ .

وسواء نطقها شيناً خالصة ، وهو ما نميل اليه ، أم جاء بها جيماً مشربة كما رجحه د . احمد الجندي[٩٦] وملنا اليه في دراسة سابقة[٩٧] ، فالحاصل اختلاط صوت الجيم بالشين ، مما يقوّي مذهب علماء العربية في وصف مخرجها ، وأقول انني اميل الى أنه أخلصها شيناً في هذا الرجز ، لان الجيم التي كالشين أي المشربة عرفها علماء العربية كما تقدم ، فلا يتصور أنها تلتبس عليهم في هذا الموضع فيحسبونها شيناً خالصة .

أما في التعامليات ، فقد تكلم سيبويه على ادغام الجيم في الشين ، وجعل الادغام والبيان حسنين ، قال : "الجيم مع الشين كقولك : ابعج شبثا ، الادغام والبيان حسنان ، لانهما من مخرج واحد ، وهما من حروف وسط اللسان[٩٨]" ، كما ذكر ان الشين لاتدغم في الجيم ، وكذلك الياء لاتدغم في الجيم ، وبين العلة في ذلك ، مما يدل على انه كان ينبغي أن يحدث ادغام على الاصل في قرب المخرج ، الا أن ما في الشين من تفش وما في الياء من لين منعاً ذلك[٩٩] ، هذا على أن بعضهم قد أدغم في الشين الجيم قال : "والشين لاتدغم في الجيم ، لان الشين قد استطال مخرجها لرخاوتها ... فكرهوا ان يدغموها في الجيم .. وقد تدغم الجيم فيها .. وذلك اخر شبثاً[١٠٠] " فالجيم الساكنة اذا وليها شين قد تدغم فيها كما في هذا المثال اخرج شبثا ، وكما تقدم من قوله : ابعج شبثا . اما العكس ، فلا . ومما ورد من ادغام الجيم في الشين ماذكره الزمخشري حيث قال : "... وفي الشين نحو : أخرج شبثا ، قال الله تعالى : (أخَرج شَطْأَه)[١٠٠]) . وقد كرر ابن يعيش كلام الزمخشري من غير اشارة الى القراءة ، فقال : "وتدغم في الشين نحو : أخرج شبثا ، قال الله تعالى : (كَزَرْعٍ أخرج شطأه) وذلك لقرب مخرجيها[١٠١]" ، وذكر الاستر بادي ادغام الجيم في الشين مكرراً عبارة سيبويه ، ولم يشر الى قراءة (أخرج شطأه) على انه اشار الى أن ابا عمرو أدغم الجيم في التاء ، قال : "وقد ادغمها أبو عمرو في التاء في قوله تعالى : (ذي المَعارِجِ تعرُجُ) وهو نادر[١٠٢] .

---

(٩٦) اللهجات العربية في التراث ، ص ٣٥٦ .

(٩٧) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، ص ١٢٨ .

(٩٨) الكتاب ٢/ ٤١٤ .

(٩٩) نفسه ٢/ ٤١١ .

(١٠٠) نفسه ٢/ ٤١٢ .

(١٠١) شرح المفصل ١٠/ ١٣٨ .

(١٠٢) شرح الشافية ٣/ ٢٧٨ .

وذكر ابن الجزري الادغام في المتحركين ، وسماه الادغام الكبير ، وذكر أنّ وجهه طلب التخفيف وقال : "فأما رواته فالمشهور به والمنسوب اليه والمختص به من الائمة العشرة هو أبو عمرو بن العلاء وليس بمنفرد به ..(١٠٣)" ، وقال في موضع آخر : "والجيم تدغم في موضعين : في الشين (أخرج شطأه) ، وفي التاء (ذي المعارج تعرج)(١٠٤) .." .

ننتهي من كل هذا الى وضوح مخرج الجيم والشين في وصف علماء العربية وأن الجيم التي وصفوها حرف شديد من مخرج الشين والياء ، وهو الذي عليه نطق كثير من العرب اليوم ، ومنهم اكثر العراقيين ، وهي جيم لاتخلو من أثر صوت الشين ، نتيجة الاحتكاك الذي يتبع الانفجار فالجيم التي ننطقها اليوم مركبة ، تبدأ انفجارية وتنتهي احتكاكية ، وهذا الاحتكاك هو الذي سهل جعلها شمسية كما سيأتي ، على أنه بالقياس الى الجيم الشامية لايكاد يذكر اذ هي جيم احتكاكية محضة عندهم ، وقد تنبه الى وجود هذا الصوت الفصيح ، كما وصف قديماً ، في لهجة العراقيين د . عبد الرحمن أيوب ، وقد درّس في العراق ، حيث قال عن الجيم : "الصوت الصلب الانفجاري المجهور ، ويوجد في أول الكلمة العراقية : جيكارة ، وأول الكلمة الفصيحة جمل(١٠٥)" .

واذ قد انتهينا الى تقرير صوت الجيم الفصيحة وانها شديدة من مخرج الشين ، لم يبق الا أن نقف قليلاً عند جعلها مع ال التي للتعريف كالحروف الشمسية في نطق الكثير من ابناء العرب اليوم ، وهي عند القدماء قمرية ينبغي أن تحقق معها اللام ولاتدغم فيها ، والذي يتجه لنا في هذا أن اشرابها صوت الشين عند الكثيرين جعلها تأخذ حكم الشين في الادغام عند من يشربونها الصوت كما في بلاد الشام واكثر نواحي المغرب ، فيقال في الجمل أجمل بجيم شامية مشددة ، أما الذين يأتون بها كما وصفت الفصيحة فالذي يبدو أن كونها من مخرج الشين مع وجود اثرها فيها مهما كان قليلاً وهو الاحتكاك الذي يتبع الانفجار ، قد أثر في الصوت عند اكثرهم ، نستثني من ذلك قراء القرآن ، والحريصين على فصاحة النطق .

ولايمكن أن يكون هذا النطق لألِ مع الجيم دالا على أن الجيم القديمة كانت تنطق كافا مجهورة كما حاول بعضهم أن يستدل به(١٠٦) ، وانك (لو نظرت الى

(١٠٣) النشر ١/ ٢٧٥ .
(١٠٤) نفسه ١/ ٢٨٩ .
(١٠٥) محاضرات في اللغة ، ص ١٠٠ .
(١٠٦) انظر : بحوث لسانية ـ نعيم علوية ، ص ١٤٩ ، ط بيروت ١٤٠٤ هـ .

، الحروف القمرية لوجدتها تخضع للتقسيم التالي: حلقية/ شفوية.
ـ الحلقية: أ، ع، هـ، ي، ح، خ، غ، ك، ق، گ.
ـ الشفوية: و، ب، ف، م،.

فلو كانت الجيم شجرية لكانت وحدها شاذة عن هذا التقسيم، علماً بأن الجيم المصرية حلقية ولايختلف في قمريتها، اذن يسعنا القول ان الجيم المصرية هي القمرية، وان الجيم الشجرية والجيم الدالية ليستا قمريتين بل شمسيتان(١٠٧)...".

وبصرف النظر عن التخليط العجيب في المصطلحات، وجعل الحلق يتسع ليشمل القاف والكاف، والكاف المجهورة، والياء، نقول: الياء شجرية، والجيم الفصيحة شجْرية ايضاً، فهما من مخرج واحد، اجمعت على ذلك الدراسة الصوتية القديمة والحديثة، والياء قمرية، فالجيم الشجرية معها. أما الشين وهي الحرف الشجْري الثالث، الذي كان ينبغي أن يكون قمرياً ايضاً، فان تفشيه واستطالة الصوت به حتى وصل الى مخرج الطاء وهي حرف شمسي، جعله شمسياً، بهذا علل سيبويه الامر كما سيأتي.

والجيم المصرية هي الكاف المجهورة. وقد عرفها علماء العربية كما تقدم، ولم يخلطوا بينها وبين الجيم الفصيحة. وقد وفينا هذا الامر حقه فيما تقدم كما نظن. أما علة الادغام في الشمسية وادخال الشين والضاد فيها، فلم أجد أحسن مما قاله سيبويه في ذلك حيث قال: "ولام المعرفة تدغم في ثلاثةعشر حرفاً لايجوز فيها معهن الا الادغام، لكثرة لام المعرفة في الكلام، وكثرة موافقتها لهذه الحروف، واللام من طرف اللسان، وهذه الحروف أحدعشر حرفا منها حروف طرف اللسان، وحرفان يخالطان طرف اللسان، فلما اجتمع فيها هذا وكثرتها في الكلام لم يجز الا الادغام... واللذان خالطاها الضاد والشين، لان الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام، والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء(١٠٨)". فالامر مرتبط اذن بقرب المخرج وكثرة الاستعمال، والنص بعد من الوضوح بحيث لامكان معه لشرح أو ايضاح. وقد تبع سيبويه في هذا التعليل من جاء بعده من علماء العربية، ومن هؤلاء المبرد في المقتضب(١٠٩).

وهكذا ننتهي الى أن الجيم الفصيحة التي وصفها علماء العربية كما كانت في زمانهم هي مانسمعه اليوم من مجيدي القراء، وهي صوت مجهور شديد من مخرج

---

(١٠٧) نفسه، ص ١٥٠.
(١٠٨) الكتاب ٢/ ٤١٦.
(١٠٩) المقتضب ١/ ١٣.

الشين والياء ، وان لام التعريف ينبغي ان تظهر معه ، كما ينبغي أن يطوع ابناء العربية السنتهم ليأتوا به على صفته التي اوردها علماء العربية ، فيه من صوت الشين مالايكاد يذكر .

وماقيل عن الجيم ، يقال عن الظاء والذال والثاء ، فبعد أن دخل هذه الاصوات التحول في اللهجات العامية ، استطاعت المتحولة ان تتسلل الى النطق الفصيح ، ولانشك في أن العمل على طردها ليس بالامر السهل . فقد رأينا بعض من يدرسون الاصوات اللغوية لايكاد يحكم التفريق بينها ، وقد كنت اشفق على طلبتي وهم في السنة الرابعة بكلية الآداب في بلد عربي افريقي ، اذ يكتبون البحوث ، فيعجم بعضهم كلمات أصلها بالدال المهملة ، ويهمل أخرى هي بالذال المعجمة . وهكذا في التاء والثاء ، والضاد والظاء . ولكن الاحساس بالمشكل ، وبذل الوسع في علاجه ، كان كفيلاً مع الايام بتذليله .

البعد المستقبلي :

رأينا كيف أن العامية استطاعت أن تدخل عدداً من اصواتها على الفصيحة في نطقنا اليوم ، وجعلنا ذلك تحت المظهر الواقعي . أما البعد المستقبلي ، فان الاصوات التي نعرض لها فيه أصوات وجدت مكانها في السن الناس في احاديثهم بلهجاتهم ، الا انهم يتخلصون منها عندما يتحولون للحديث باللغة الفصيحة ، ولذا كان رصد الاصوات العامية التي حلت محل الفصيحة فيها جزءاً من التنبيه على خطر هذه الاصوات في المستقبل ، فهي أصوات متحولة عن الفصيحة مازالت تنمو على ألسن الناس في اسواقهم وبيوتهم . ولايبعد ، اذا لم يتنبه اليها ، أن تتسرب ببطء نحو اللفظ الفصيح ، كما تسربت الاصوات التي أشرنا اليها آنفاً .

فمن ذلك مثلا مايقع للهمزة في اللهجات العامية ، فهي كما وصفها علماء العربية حرف حلقي شديد مجهور ، وهي أول حروف الحلق . وقد دلت الدراسة الحديثة على انها تولد بانغلاق الوترين الصوتيين ثم انفراجهما فجأة من غير أن يهتز الوتران . ونحن نميل الى ابقاء صفة الجهر للهمزة مع عدم اهتزاز الوترين في نطقها موافقة لعلماء العربية ، وكذلك لان الوترين يغلقان ويفتحان بها ، فهي حركة وان اختلفت عن الاهتزاز ، الا ان ذلك أولى من جعلها مهموسة مع ما في الوترين من حركة انطباق وانفتاح بها ، كما أنه أولى من جعلها صنفاً ثالثاً ليس مهموساً ولا مجهوراً (١١٠) .

---

(١١٠) انظر تفصيل ذلك في الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني . ص ٣١٤ .

وأهم التحولات التي تشيع لهذا الصوت في اللهجات : تسهيله ، وابداله عينا ، أما التسهيل نحو : مومن ، وراس ، فلغة للعرب شائعة منذ القديم ، وهو أمر أراه سائغا لو انتقل الى الفصيح ، كيف لا وقد قرىء كتاب الله تعالى بهذه اللغة في قراءة سبعية تنتشر اليوم في نواح كثيرة من المغرب العربي ، وهي قراءة (ورش) عن (نافع)[١١١] .

وأما ابداله عينا ، كقولهم (اسعلك سعال) يريدون : اسألك سؤالا ، كما نسمع ذلك من البدو في العراق ، وفي صعيد مصر مثلاً ، فهو ايضاً له أصل قديم ، الا انه قليل ، وقد أطلق على هذا الابدال : عنعنة تميم ، واستُشهد لذلك بقول ذي الرُمّة[١١٢] :

أعَنْ ترسَّمْتَ من خرقاءَ منزلة ماءُ الصبابةِ من عينيك مسجوم .

قال ابن جني نقلا عن الاصمعي : "فأما عنعنة تميم ، فان تميا تقول في موضع" ان : "عن" وتقول : ظننت "عنّ" عبد الله قائم ، قال : وسمعت ابن هَرْمَةَ ينشد هارون :

أعن تغنّت على ساق مطوقة ورقاء تدعو هَدِيلاً فوق أعواد[١١٣]

ولعل قلة ذلك هو الذي جعل ابن فارس يوردها في باب اللغات المذمومة وقد نسبها الى تميم[١١٤] . أما الثعالبي ، فقدا جعلها في قطاعة[١١٥] ، وأوردها تحت فصل : في حكاية العوارض التي تعرض لالسنة العرب . وقد جاء هذا الفصل في الكتاب بين فصلين ، فقبله الفصل الثامنَ والعشرون وهو في عيوب اللسان ، وبعده الفصل الثلاثون وهو في ترتيب العي ، ولانشك في أن لهذا الترتيب معناه في نظرة الثعالبي للعنعنة

---

(١١١) انظر : التعريف في اختلاف الرواة عن نافع للداني ، تحقيق الهاشمي ، ص ٢٠٩ ـ ٢٤٧ ، ط المغرب ١٤٠٣ هـ .
(١١٢) سر الصناعة ١/ ٢٣٤ .
(١١٣) نفسه ١/ ٢٣٥
(١١٤) الصاحبي ، ص ٥٣ .
(١١٥) فقه اللغة للثعالبي . مصورة عن الكاثوليكية ، ص ١٠٧ .

وذكرها السيوطي بقوله : "العنعنة ، وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم ، تجعل الهمزة المبدوء بها عينا ، يقولون في : أنك "عَنّك"(١١٦) . وقوله : في كثير من العرب ، غريب ، اذ كيف يكون ذلك في كثير من العرب ، ثم يبحثه تحت عنوان : معرفة الرديء المذموم من اللغات؟

هذه الظاهرة القديمة ، مازالت آثارها في اللهجات العامية ، بل هي كما يبدو قد تعدت الهمزة في أول الكلام ، الى غيرها ، كما في قول بعضهم : سعال ، وقراعة ، في سؤال ، وقِراءة . وهذا الابدال مما ينبغي أن يكافح ان حاول أحد أن ينقله الى الفصيح ، ولايتسامح فيه .

ومن ذلك ابدال الجيم ياء ، وذلك فاشٍ اليوم في بدو العراق والمناطق الجنوبية منه ، وفي بلدان الخليج العربي ، فيقولون مثلاً : يناك ومايتنا ، أي : جئناك ، وما جئتنا ، وهي لهجة قديمة ايضاً ، ورد عليها قول أم الهيثم :

اذا لم يكنْ فيكنّ ظل ولاجنى — فأبعدكنّ الله من شِيَرات

وقد نسب القالي هذا الابدال الى تميم ، قال : " ... ويمكن ان يكون جارّ لغة في يارّ ، كما قالوا : الصهاريج والصهاريّ ، وصهريّ ، وصهريّ لغة تميم..(١١٧)"

وهذا الإبدال ايضاً مما ينبغي أن يوقف على العاميات ، ولايفسح له في الفصيح .

ومن ذلك ايضاً صوت القاف ، فهو في الفصيح صوت لهوى شديد (انفجاري) مجهور على وفق معنى الجهر عند القدماء ، مهموس بمصطلح المحدثين ، ويولد الصوت بأن يتصل اقصى اللسان باللهاة (وهي المنطقة الرخوة من الحنك التي تقابل اقصى اللسان) مسبباً حبساً تاماً للهواء ، ثم ينفصل فجأة . هكذا كان ينطق الصوت في القديم ، وهكذا هو عند العرب اليوم في الفصيح . أما قول الدكتور ابراهيم أنيس : "وقد تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة تطوراً ذا شأن ، لانستطيع معه أن نؤكد كيف كان ينطق بها الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الاسلامية الاولى(١١٨)" فليس أوضح في بيان سهوه من قول سيبويه : "انك لو

(١١٦) المزهر ١/ ٢٢١ – ٢٢٢ .
(١١٧) الامالي ٢٣/ ٢١٤ .
(١١٨) الاصوات اللغوية ، ص ٨٤

جافيت بين حنكيك فبالغت ، ثم قلت : قق قق لم تر ذلك مخلا بالقاف ، ، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان ، أخلّ ذلك بهنّ''[119] .

أما في اللهجات العامية ، فالقاف همزة عند بعضهم كما في اكثر مدن مصر ، قال : آل ، وكاف عند آخرين ، كما في بعض نواحي فلسطين ، قلت له : كلت له ، وكاف مجهورة في اليمن ، وفي صعيد مصر ، وفي أغلب نواحي العراق ، والخليج العربي ، قال : گال ، والعراقيون يفخمون لها اللام في بعض الالفاظ ، قلب : گلب ، بلام مطبقة ، وسمعت بعض الدوريين يقول : گلي ، بكاف مجهورة ولام مطبقة ، اي : قال لي .

أما جعل القاف كافا ، فهو قديم ، وقد أورد القالي الفاظاً جاءت بالقاف والكاف رواها عن الاصمعي وابي عمرو الشيباني ، والفرّاء ، وأبي زيد ، وعن مصحف ابن مسعود . فمن ذلك قوله : ''قال أبو علي : قال الاصمعي : يقال اناء قربان وكربان ... وقال ابو عمرو الشيباني : عربي كُحّ وعربية كُحّة وقال ابو زيد : اعرابي قُحّ ... وقال الفرّاء ... كشطت عن جلده وقشطت .. وفي مصحف ابن مسعود : قُشِطَتْ ...[120] . وقد نص ابن جني على أن القاف لاتكون بدلاً يكون اصلاً ، لا بدلاً ، ولا زائداً[121] . وقد ترجح عندنا في دراسة سابقة'' أن أية لهجة منسوبة أو غير منسوبة وردت فيها لفظة بحرف ، وهي بغيره في غيرها ، والمعنى واحد فيها ، انما كان ذلك في الاصل ابدالاً ، ونحاول تفسير ذلك الابدال فيها ، فاذا كان بين الحرفين اتفاق او تقارب في المخرج أو الصفة كان هذا التقارب او الاتفاق هو الداعي الى الابدال ..[122] . وهذا الابدال وان كان واردا عن العرب الا اننا لانرى اباحته في الفصيح في غير المسموع ، لان المصير الى الكثير الشائع ، لا القليل النادر ، ولاسيما أن ابدال القاف كافا في غير ما سمع من العرب انما يكون للكنة أعجمية ، قال الجاحظ : ''وعبيد الله بن زياد يرتضخ لكنه فارسية ... ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة ، وكان حسن الالفاظ جيّد المعاني ، وكان اذا أراد أن يقول قلت لك ، قال : كلت لك ، فشارك في تحويل القاف كافاً عبيد الله بن زياد ، كذلك خبرنا أبو عبيدة . قال : وانما أتي عبيد الله بن زياد في ذلك انه نشأ في الاساورة عند شيرويه الاسواري ، زوج أمّه مرجانة''[123] .

(١١٩) الكتاب ٢/ ٤٢٧ . وانظر كلامنا على ذلك في الفصل الاول .

(١٢٠) الامالي ٢/ ١٣٩ .

(١٢١) سر الصناعة ١/ ٢٧٨ .

(١٢٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني . ص ٩٥ .

(١٢٣) البيان والتبيين ١/م ٧٢ ـ ٧٣ .

وأما جعل القاف كافا مجهورة ، فهو قديم ايضاً ، وقد جعل في الاصوات الفرعية . قال الاسترابادي : "ومن المتفرعة : القاف بين القاف والكاف" (١٢٤) . ولاشك في أن اهتزاز الوترين بالكاف المجهورة هو الذي يجعل متذوقها يحس أنها أعمق من الكاف المهموسة ، فتكون المجهورة بين القاف والكاف ، في التجربة الذاتية ، والا فهما كاف واحدة يهتز الوتران معها فتكون مجهورة ، وهي مهموسة من غير اهتزاز الوترين ، وقد نسب ابن دريد هذه اللغة الى بني تميم "يلحقون القاف بالكاف حتى تغلظ جدا فيقولون القيوم ، فتكون بين الكاف والقاف وهذه لغة تميم" (١٢٥) .

وهذا الابدال ايضاً ، ينبغي أن يتنبه اليه فلايفسح له في الاستعمال الفصيح .

وأما جعل القاف همزة ، فلم أجد له اصلا قديماً . واذا كنّا قد حذّرنا من دخول الابدال الذي ورد عن العرب في الفصيح اليوم ، فمن باب أولى نحذّر من دخول ما لا أصل له ، على أنه يمكن أن يعلل برجوع الصوت من اللهاة الى الوترين للاتفاق في صفة الشدّة .

ومما لم نجد له اصلاً قديماً في ابدال القاف ، مانسمعه من بعض البدو في العراق من ايقاع التبادل الصوتي بين القاف والغين ، فالعراق العراغ ، وغانم : قانم . ومما يُتندر به أنه قيل لاحدهم : لم تجعلون القاف غينا والغين قافا ؟ فقال : أستقفر الله ! من يغول ذلك ؟ يريد : استغفر الله ، من يقول ذلك ؟ وسمعت بعضهم يقرأ قوله تعالى : (فكانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِين) (من المقرقين) بقافين ، وأرهقني حتى لقنته اياها مقطّعة : مُغْ ، رَ ، قين ، فاذا وصل اعادها قافين . وهذا ايضاً مما ينبغي أن نتنبه اليه خشية تسرّبه في الفصيح . وعلى أية حال سواء لم يكن لنطق القاف اللهجية اليوم أصلٍ قديم كنطق القاف همزة ، أو كان له أصل قديم كنطقها كافا مهموسة او مجهورة ، فلايجوز نقل ذلك الى الفصيح ، لأن العرب جميعاً على اختلاف نطقهم الصوت في لهجاتهم مجمعون على نطقه قافا فصيحة في لغة الادب .

ومن الاصوات التي تشيع في بعض اللهجات اليوم ، الكاف التي سمّاها سيبويه الكاف التي بين الجيم والكاف ، وجعلها في الحروف التي لاتستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر (١٢٦) ، وقال كانتينو عن هذا الصوت " فالمفروض أن يكون هذا النطق هو نطق الكاف "تش" (١٢٧) .

---

(١٢٤) شرح الشافية ٣/ ٢٥٧ .
(١٢٥) الجمهرة ١ ا ٥ .
(١٢٦) الكتاب ٢/ ٤٠٤ .
(١٢٧) دروس في علم اصوات العربية، ص / ١٠١ .

وقد مال الكتّاب في النواحي التي ينطق فيها هذا الصوت كما في العراق ، وما جاوره من دول الخليج الى كتابته جيما بثلاث نقاط (چ) فكاف المؤنث تؤول في هذه النواحي باطلاق الى هذا الصوت (چ) ، أبوك : أبوچ ، وكذلك في الفاظ كثيرة في غير كاف المؤنث : الديك : الديچ ، الكلب : الچلب ، الركاب : الرچاب ، الكفن : الچفن ، الله يكفيك شرّه : الله يچفيك شرّه .

ومن الابدال الذي يكاد يكون مطردا في اللهجات العامية اليوم ، وصرنا نسمعه من بعضهم في الفصيح يتملّح به ، ابدال الحركة المزدوجة امالة ، أو تفخيماً ، والمزدوج كما هو معلوم الصوت المكوّن من حركة قصيرة – هي الفتحة – بعدها حرف لين ساكن(١٢٨) ، كالصوت الذي بين اللام والسين في كلمة : لَيْس ، أو الذي بين القاف والميم في لفظ قَوْم . والملاحظ أن اللين اذا كان ياء مالت اللهجة العامية به الى صوت الامالة المعروف في العربية الفصيحة ، واذا كان واوا ، مالت به الى صوت التفخيم الذي قال عنه سيبويه انه لغة أهل الحجاز ، فلاتكاد تسمع في لهجات العرب العامية اليوم كلمة : بَيْت ، ويالَيْت ، وسَيْف ، وضَيْف ، وعَيْن ، وطَيْر .... الخ ، بل تسمع لفظة : بيِت ، ويا ليِت ، وسيِف وضيِف ، وعيِن ، وطيِر . كذلك لاتكاد تسمع كلمة : قَوْم ، ودَوْر ، وفَوْق ، ولَوْم ، وشَوْق ، ونَوْم ... الخ ، بل تسمع لفظة قوْم ودوْر وفوْق ولوْم وشوْق ونوْم ، وهكذا ، اللهم الا في لهجة البدو ، فانك تسمع منهم المزدوج كما هو في الفصيح .

وصوتا الامالة والتفخيم ، من الاصوات العربية القديمة . وقد ذكرها سيبويه وعدّها في الاصوات التي يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والاشعار ، قال : "والالف التي تمال امالة شديدة ... وألف التفخيم يعني بلغة أهل الحجاز ، في قولهم : الصلاة والزكاة والحياة"(١٢٩) ، الا أن ماذكره سيبويه لم يكن خلفا من مزدوج كما هو في اللهجات اليوم ، بل الامالة كانت أن تنحو بالالف نحو الياء في مثل : سار وباع ، فتقول : سِيْر وبِيْع ، أي : أن يتحول صوت الالف الى صوت يماثل الصائت الذي نسمعه في لفظة "bird" الانجليزية ، فيكون بين الياء والالف . وعلى هذا رسمت كلمات بالياء في القرآن الكريم ، ونطقها بالالف رعاية لقراءة الامالة فيها(١٣٠) كما في فواصل سورة الشمس : "والشّمْسِ وضُحيٰها والقَمَرِ اذ تَليٰها ، والنّهار إذا جَلّيٰها ، والليل اذا يَغْشيٰها ..." والتفخيم أن تنحو بالالف نحو

(١٢٨) جعله فندريس حرف لين واحد مكونا من حركتين ، انظر : اللغة ، ص ٥٤ .
(١٢٩) الكتاب ٢/ ٤٠٤ .
(١٣٠) انظر : رسم المصحف ، ص ٣١٥ .

الواو ، أي : أن يلفظ صوت الالف صوتا بين الالف والواو ، كما في الصائت الذي نسمعه في لفظة "ball" الانجليزية ، وهكذا رسمت كلمات في القرآن الكريم بالواو رعاية لقراءتها مفخمة ، على ماذهب اليه غير واحد من علماء السلف(١٣١) ، كالصلوٰة ، والزكوٰة ، والحيوٰة .

وهكذا يتبين لنا أن صوت الامالة وان كان واحدا في القديم وفي اللهجات اليوم الا ان هناك اختلافا في الاصل الذي ينشأ عنه ، فهو في الامالة الفصيحة التي أجازها علماء العربية يأتي خلفا من الالف . أما في اللهجات اليوم ، فهو خلف من مزدوج او مركّب "diphthong" ، وكذلك القول في صوت التفخيم .

ولو أردْنا ان نتقصى كل الابدالات التي دخلت في اللهجات سواء في الصوامت أم الصوائت ، لطال بنا الامر ، فنكتفي بما اوردناه ، وننبه على ثلاثة أمور :

الاول : أن يكون ذوو الغيرة على العربية على حذر دائم من تسرب الاصوات اللهجية في الفصيحة ، والتنبيه عليها ، ومكافحتها ، ورحم الله أبا منصور الثعالبي (٤٢٩ هـ) اذ قال : "انه عزّ وجلّ لمّا شرّف العربية وعظّمها ، ورفع خطرها وكرّمها ، قيّض لها حفظة وخزنة من خواصّ الناس ، وأعيان الفضل ، وأنجم الارض" (١٣٢) .

الثاني : ان هذه الابدالات اللهجية التي ذكرناها ، ليست مطردة ، فالذي يبدل القاف همزة مثلا ينطق بالقاف الفصيحة كلمة القاهرة ، والمقدّم – لرتبة عسكرية – ، والقطاع الخاص ، والقوى العاملة ... الخ مما يدل على امكان اعادة الصوت الفصيح الى اللسان اللهجي ، بالجهد والتخطيط والمثابرة .

الثالث : أن محاولة التملّح بادخال بعض هذه الاصوات اللهجية على الفصيحة فيه خطورة كبيرة على مستقبل أصواتها ، ولاسيما اذا وقع ممن له في الشعر منزلة ، وقد كنا نسمع بعضهم يتقصد التحول عن المزدوج الى صوت الامالة او التفخيم ، وصرنا نسمع ذلك من الكثيرين من صغار الشعراء حرصا منهم على المحاكاة .

ان التطور الذي دخل أصوات العربية في لهجاتها العامية تطور طبيعي في اللغات ، ودخوله في لغة الادب الفصيحة كان يمكن أن يكون طبيعياً لولا ما خُصّت به هذه اللغة من ارتباط بالعقيدة ، جعل الحرص على ثبات أصواتها مبدأ ثابتا عند أهلها ، كي لاينفرط عقد الارتباط بكتاب الله تعالى ، ثم بخلاصة تجارب أجيال متعاقبة خلال أكثر من خمسةعشر قرنا من الزمان ، ولتبقى اللغة رابطة متينة بين أبناء هذه الامة الكريمة .

---

(١٣١) نفسه ، ص ٢٣١ .

(١٣٢) فقه اللغة : المقدمة .

الفصل الثالث

الكتابة الصوتية

الجملة الفكرية :

في حياة الانسان وحدات فكرية ، مطلقة ، او مقيدة ، ادركها بفكره مستفيدا من حواسه ، فالذوات مثلا وحدات مقيدة لها صورها المحسوسة المميزة ، فالشجرة غير السمكة ، وهذه غير الصخرة ، والصخرة غير الفرس ، وهكذا .. ، وهي جميعا غير الانسان . والصفات وحدات مطلقة لها صورها الذهنية المميزة ايضا ، فالحركة غير السكون والحياة غير الموت ، والشجاعة غير الجبن ، والسرور غير الحزن ، وهكذا ...

ولاشك في ان الانسان هُدي او اهتدى الى التمييز بين الذوات بما عقده من نسبة بينها وبين صفاتها ، فالسمكة غير الصخرة لما في السمكة من صفات الحياة والحركة والنمو والاحساس ... الخ ، ولما في الصخرة من السكون والجمود ومما هو نقيض الحياة من صفات .

ان قيام الانسان في مرحلة ما من حياته المبكرة بعقد النسب في فكره بين الذوات والصفات ، يمكن ان يسمى لغة الفكر ، فحينما عقد النسبة بين الحركة والسمكة ، كان قد كون جملة فكرية ، هي من غير شك جملة انسانية عامة ، يشترك في ادراكها البشر جميعا ، فهي من اللغة العالمية التي لم توضع في قوالب رمزية ، كما انها لغة ذاتية محضة ، على ما قلناه من عالميتها ، فهي لاتتجاوز الذات التي تكونها في ذهنها ، ومن ثم لم تكن لغة تواصلية .

الجملة الصوتية :

ولما اهتدى الانسان او هدى الى الافادة من جهازه الصوتي في الرمز الى الاشياء ، سواء كان ذلك بالهام أم بمحاولة المحاكاة[١] ، عبّر عن مفهوم السمكة باصوات كانت دالّاً على هذا المدلول ، ثم عبر عن مفهوم الحركة باصوات اخرى جعلها دالاً على هذا المدلول . ولا يعنينا هنا ان نقدر الزمن الذي تعبر عنه لفظة (ثم) في عبارتنا هذه ايعد بآحاد الاعوام ام بعشراتها ، ام لعله يتجاوز المئات . المهم ان الانسان الاول رمز بالاصوات الى الاشياء اولا ، ثم الى المعاني[٢] . وهكذا ولدت المفردة اللغوية الصوتية ، ثم الجملة اللغوية ، الصوتية ، وكانت وسيلة تواصل انساني منحصر بالمحيط الذي ارتضى افراده بطريقة غير مقصودة او غير مجمعيــة ، اصواتا محددة للتعبير عن الذوات والصفات التي كان لها مفهومها المستقر في ذهن كل فرد من افراد المجتمع الصغير الذي كان، اول الامر يمثل جزءا من لغة غير تواصلية . وهكذا صارت اللغة اصواتا يعبر بها كل قوم عن اغراضهم ، كما قال ابن جني[٣] ، وصارت الاصوات اللغوية وسيلة تواصل ميسرة بين افراد المجتمع الواحد .

اختلاف اللغات :

وتباينت المجتمعات في اصطناع الاصوات الدالة على الاشياء والمعاني ، وزاد تبيانها بترامي اطرافها وتباعدها ، وزاد من ذلك التباين كّر السنين حتى اختلفت الاصوات الدالة على الشيء الواحد بين افراد مجتمع ما وآبائهم الاولين[٤] . من اجل ذلك يرى الدرس اللساني الحديث انه لا افضل مثلا لـ (cat) على (قط) ولا لـ (انت) على (vous) ولا تفاضل بين (افتح الباب) و (openthe door) و (ouvrezla port) فكل امة ارتضت لنفسها اصواتا دالة تعبر بها عمّا تريده من مدلولات . وما دام التواصل بالاصوات قائما على وفق ما ترتضيه تلك الامة ، فالدوال الصوتية مؤدية عندها ، موفية باغراضها ولا مجال للتفاضل ، ومن هنا

---

(١) انظر تفصيل ذلك في : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني . ص ٢٦٩ – ٢٧٥ .
(٢) انظر : علم اللغة د . علي عبد الواحد وافي . ص ١٤٨ .
(٣) الخصائص ١ف ٣٣ .
(٤) التطور النحوي للغة العربية . ص ١٧ ومابعدها . وعلم اللغة لوافي . ص ٢٥٠ ومابعدها .

ايضا يرفض الدرس اللساني الحديث ما اطلق عليه (مستقبح اللهجات[٥]) ، فهو لايصف بالقبح مثل قولهم : بصرج وكوفج في بصري وكوفي ، ولامثل قوله :

فعيناش عيناها وجيدش جيدها   ولونش الا انها غير عاطل

وهو يريد : فعيناك ، وجيدك ، ولونك .
ولا مثل قوله :

ولا اكول لكدر الكوم كد نضجت   ولا اكول لباب الدار مكفول[٦]

وهو يريد اقول والقوم وقد ومقفول . وانما ذلك كله عنده لهجات قوم مرضية عندهم ، وهي خلاف اللغة الادبية الموحدة ، او اللغة المثالية التي ارتضاها جمهور العرب لادبهم ، والى مثل هذا سبق ابن جني حين عقد بابا في الخصائص بعنوان (اختلاف اللغات وكلها حجة) قال فيه "فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء ، وان كان غير ماجاء به خيرا منه .[٧]" . فالاستقباح في لهجة ما أمر نسبي ، ولو رأى اهل تلك اللهجة فيه من القبح مايراه غيرهم ما اقاموا على استعماله .

الكتابة :

ثم انتقل الانسان الى مرحلة متقدمة اخرى في حقل التعبير عن اللغة الفكرية الاولى التي كانت محصورة في الذهن ، وذلك بمحاولة الرمز الى الاصوات اللغوية بالصور او الخطوط ، وبدأت الكتابة الصورية ثم الكتابة الصوتية[٨] ،فعبرت الخطوط عن الاصوات ، (ان ماپي لم يخطيء عندما قال : ان الرجال الذين اخترعوا الكتابة واتقنوها كانوا السنيين كبارا . وهم الذين خلقوا الالسنية)[٩] .

---

(٥) عقد ابن فارس بابا في الصاحبي بعنوان : اللغات المذمومة ص ٥٣ ، وانظر : المزهر ١/ ٢٢١ – ٢٢٢ .
(٦) انظر في هذا وماسبقه : الصاحبي ص ٥٤ .
(٧) الخصائص ٢/ ١٢ ، وانظر في ضوابط ذلك : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، ص ٨٣ .
(٨) انظر : تاريخ اللغات السامية . ص ٣٥ .
(٩) مفاتيح الالسنية . ص ٣١ .

وورثت الامم اليوم خطوطا ترمز الى اصوات ، ومجموعة رموز تشير الى الالفاظ ؟ ورأى علماء اللغة تبايناً بين صوت الخط المفرد في الف باء اللغة ، وصوت الخط نفسه في تركيب اللفظة ، في عدد لايمكن اهماله في لغات البشر ، على انه يضيق في لغة ويتسع في اخرى الا انه على اي حال امر يستدعي وقفة العلماء لدراسته وايجاد الحل المناسب له .

فهذا الخط في الانجليزية مثلا (C) يرمز الى صوت رمز له بالعربية بالخط (س) وذلك عندما تعرض اصوات حروف الالف باء علء الدارسين ، الا ان الصوت الاول الذي يؤديه الرمز (C) في لفظة (Circle) / /S3:kəl/ مثلا يختلف عن الصوت الثاني الذي يؤديه في اللفظة نفسها ، فقد تحول الى صوت نرى رمزه في حروف الالف باء الآنجليزية بصورة (K).

والصوت الذي يؤديه الرمز (س) في العربية في مثل لفظ (واستعينوا بالصبر والصلاة[10]) يختلف عن الصوت الذي يؤديه في مثل لفظ (لست عليهم بمسيطر)[11] . فقد تحول في (مسيطر) الى الصوت الذي نجده في حروف الالف باء العربية برمز (ص) ، ولذا جاء رسمه في المصاحف بالصاد وتحتها سين اشارة الى لفظ الصوت ، والى اصله قبل تحوله .

هذا فضلا عن وجود صورة الرمز في اللفظ وانعدامها في الصوت ، او العكس فالهمزة في لفظ (أكْتب) ، اذا بدأنا به الكلام ، لها صورتها وصوتها ، ولكنها في لفظ (قلتُ اكْتب) تبقى صورتها في الكتابة ويذهب صوتها ، واللام في لفظ (الكتاب) لها صورتها وصوتها ، الا انها في لفظ (الناس) لها صورتها في الكتابة الا ان صوتها يتحول الى صوت يرمز له في الف باء العربية بالخط (ن) .

وهذه الظاهرة في عدد من اللغات الحية اشدّ وأظهر منها في العربية ، ففي الفرنسية مثلا تكتب (Monsieur) وتلفظ /məsjø/ وتكتب (trois) وتلفظ /trwa)/ وتكتب (L'agent) وتلفظ /lāʒā/ ، وفي الانجليزية تكتب (right) ، (Write) ولفظها واحد /rait/ وتكتب (oF) وتلفظ əV .

ولا يعني هذا ان الذين وضعوا الرموز الكتابية للاصوات وضعوها على خطأ او على خلاف اول مرة ، فان تطور الاصوات اللغوية وتحول اللفظة الواحدة من هيئة الى هيئة يمكن ان يعلل به اكثر ما ورد من هذا القبيل (فالاصوات التي تتألف منها كلمة ما لاتجمد على حالتها القديمة ، بل تتغير بتغير الازمنة والمناطق ،

---

(١٠) البقرة : ٤٥ .
(١١) الغاشية : ٢٢ .

وتتأثر بطائفة كبيرة من العوامل الطبيعية والاجتماعية واللغوية ، فاحيانا يسقط منها بعض اصواتها القديمة ، وأحيانا يضاف اليها اصوات جديدة ، وتارة يستبدل ببعض اصواتها اصوات اخرى ، وتارة تحرف اصواتها عن مواضعها فيختل ترتيبها القديم ، وقد ينالها اكثر من تغير واحد من هذه التغيرات ، على حين ان الرسم لايساير النطق في هذا التطور ، بل يميل غالبا الى الجمود على حالته القديمة او مايقرب منها ، فلا يدون الكلمة على الصورة التي انتهت اليها اصواتها ، بل على الصورة التي كانت عليها من قبل . وهذا هو منشأ الخلاف في معظم اللغات الاوربية الحديثة بين النطق الحالي لكثير من الكلمات وصورتها في الرسم ، فمعظم وجوه هذا الخلاف ترجع الى جمود الرسم وتمثيله لصورة صوتية قديمة نالها مع الزمن كثير من التغير في ألسنة الناطقين باللغة[١٢]) .

والظاهرة اليوم واقع قائم في اللغات الحية . يقول جسبرسن : "ان الطريقة التقليدية لكتابة اللغة الانجليزية ابعدماتكون عن الاتساق والثبات ، فمعرفتنا باصوات الكلمة لاتساعد على تهجيها ، والعكس صحيح ، اذ لانستطيع نطق الكلمة اذا عرفنا هجاءها ...[١٣]) .

ومن هنا جاءت حاجة المشتغلين بالدرس الصوتي الى مااطلق عليه الفونيم (The phoneme) مما سيرد الكلام عليه لاحقاً .

اللبس في الكتابة :

واذا كان الامر في الصوامت يستدعي نظر دارسي الاصوات اللغوية فانه في الصوائت ادعى ، فقد ارتضى الجزريون (الساميون) الاوائل[١٤] مثلا والمصريون القدماء[١٥] ان يدعوا الرمز الكتابي للصوائت القصيرة[١٦] ، وفي هذا من الاختصار في الكتابة مالا يخفى ، ويمكن ان يرى ذلك لو اننا تكلفنا وضع رموز لها اليوم ثم كتبنا مثلا جملة (كتبت ، هند ، الدرس) ولنجعل للفتحة الرمز (ا) وللكسرة الرمز (يـ) وللضمة الرمز (و) فستكتب الجملة هكذا (كاتابات ، هيندون ، الدارسا) ، او لو كتبناها بالالف باء الانجليزية لكانت بهذه الصورة ـ والكتابة

---

(١٢) علم اللغة لوافي ، ص ٢٧٥ .
(١٣) في علم اللغة العام ، ص ٦٥ .

(١٤) تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ١٩ ـ ٣٠ .
(١٥) تاريخ الخط العربي ، ص ٧٥ .

من اليسار رعاية لحروف الانجليزية ـ : (Katabat Hindun Aldarsa) وهذا في جملة يسيرة ، فما بالك بقصيدة طويلة ، او بكتاب ، او بمعجم مثل لسان العرب او تاج العروس ؟

اما مايذكره بعض الدارسين من ان النظام الجزري (السامي) في الكتابة الذي حقق اقتصاداً كبيراً في استعمال الرموز (قد تعرض لحالات من الاختلال والتحريف نتيجة هذا الاختصار الذي يبدو احياناً مخلا ، ولاسيما اذا كان القارىء ذا قدر محدود من الذكاء وحسن التقدير(١٧) فلاينبغي ان يؤخذ على اطلاقة ، ذلك ان التحريف والتصحيف الذي تكلم عليه علماء العربية كان في جمهوره يرجع الى اغفال الاعجام وليس الى رسم الحركات او عدمه ، وانت لو نظرت في كتب التصحيف والتحريف وغيرها مما عني بمثل هذا لما وجدت ماورد فيها يعدو ماذكرناه في غالبيته ، فاسماء الاعلام مثلا ينبغي ان يحفظ لفظها رواية من غير اعتماد على صورة الخط ، سواء رسمت الصوائت القصيرة ام لم ترسم ، فحسان بن ثابت مثلا يقرأ بفتح الحاء وتشديد السين ، وان لم نرسم ذلك . ولانظن انساناً سمع اسم الشاعر ، ثم ورد مكتوباً امامه .فقرأه بكسر الحاء من غير تشديد السين على انه جمع حسناء مثلا ، وقل مثل ذلك عن اسم الشاعر زهير بن ابي سلمى ، فالذي روى اسمه عن اساتذته حفظه بضم السين من سلمى فلايعنيه بعد ذلك وضعت الضمة على السين ام لم توضع .

وهكذا كانت الرواية والتلقي سبباً اساسياً في ضبط الاعلام وحفظ نطقها وقد ذكر ابو احمد العسكري (٣٨٢هـ) جملة صالحة من الاسماء مما يقع فيه الاشكال بالتصحيف او التحريف سواء في الحركات ام في الحروف ، وكان المخلص من ذلك الرواية والضبط ، فمن ذلك مثلا الاسماء المستشنعة التي يسبق الى السمع انكارها فيعدل بها الى التصحيف (فمنهم ابن فسوة الشاعر ، الفاء مفتوحة ، والسين ساكنة غير معجمة ، سمعت غير واحد يعدلون به عن فسوة ، فيقولون ابن قسوة ، وانما الصحيح بالفاء ، لقب له ، وبهذا كان يعرف واسمه عتيبة بن مرداس ، من بني تميم . .)(١٨) .

---

(١٦) ذكر د . علي عبد الواحد وافي ان الاشكال القديمة للرسم السامي كانت (تغفل جميع اصوات المد) انظر ص ٢١٩ من كتابه علم اللغة .

(١٧) في علم اللغة العام ، ص ٥٧ .

(١٨) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، ص ٥٠١ .

ومن ذلك مايكون مرده الى عدم الاخذ من الشيوخ والمصير الى الاسم المشهور ، كيوم الكُلاب ، بضم الكاف ، وهما يومان ، الكلاب الاول لبني تغلب والكُلاب الثاني لبني سعد والرباب[19] ،فهذا اذا لم يحفظ بضم الكاف رواية فلا يبعد ان يظنه القاريء من خطأ النسخ ، وقد ذكر ابو احمد العسكري ان حيان بن بشر القاضي كان يملي يوماً (فقال ان عرفجة بن اسعد اصيب انفه يوم الكِلاب ، بكسر الكاف ، وكان مستمليه رجلا يقال له كُجّة ،وكان يفهم ، فقال : ايها القاضي انما هو يوم الكُلاب (بالضم) . قال فغضب وامر بحبسه .. فدخل اليه الناس وقالوا مادهاك ؟ فقال قطع انف عرفجة في الجاهلية وامتحنت انا به في الاسلام)[20] .

ومما ينبغي ان يصار فيه الى الضبط من الشيوخ الباب الذي عقده العسكري تحت عنوان مايشكل من مُفعَّل ومُفعِّل وذكر فيه (المزَّق العبدي مفتوح الزاي ... والمثقِّب الشاعر ... مكسور القاف .... الخ)[21] .

الا ان هذا وغيره مما لم نشر اليه مما يشكل بسبب الحركات قليل بالقياس الى ماذكروه مما كان يشكل بسبب تشابه الحروف ، وعدم العناية بالاعجام[22] ، ووضع النقاط على الحروف بدقة كما يقولون ، ولقد رأيت من ذلك في ايامنا هذه ايام الطباعة والالات من التصحيف والتحريف مايمكن ان يكون ذيلا لما كتبه القدماء في هذا الباب وانظر في جداول الخطأ والصواب في اي كتاب تجد مصداق ماذكرت ، ومما يستملح ايراده هنا ان بعض الفضلاء نشر تحقيقاً لكتاب (الفوائد العلمية في فنون من اللغات ، لشمس الدين النواجي) ورد فيه هذا السطر : (''و'' لاتهين الفقير علّك ان تركع يوماً والدهر قد رفعه هذا سقر)[23] .

ولست اشك في ان المحقق الفاضل ساءه ان يكتب بيت الاضبط بن قريع[24] اول السطر متصلا من غير فاصل يشير الى انه شعر ، فكتب على ورقة التصحيح

---

(19) نفسه ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(20) نفسه ص ٢١ .

(21) نفسه ، ص ٤٥٧ .

(22) المشهور ان نقط الاعجام كان بعد الاسلام ، وضعه نصر بن عاصم (ت ٨٩ هـ) ، وقد ذهب عدد من القدماء والمحدثين الى انه كان قبل الاسلام . وانظر في ذلك : تاريخ الخط العربي ، ص ٨٣ – ٨٤ ، ورسم المصحف ص ٨٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٤ ، والخط العربي ، ص ٥٦ .

(23) الفوائد العلمية ، ص ٣٢ .

(24) لم يخرج المحقق البيت او ينسبه لقائله ، وهو للاضبط بن قريع كما ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ٣/ ٣٤١ ، والرواية فيه : لاتحقرن ، وهكذا نسبه القالي في الامالي ١/ ١٠٧ والرواية فيه : ولاتعاد الفقير ، وكتب النحو ترويه : لاتهين الفقير ، انظر مثلا : الانصاف ١/ ١٢٢ ، وشرح ابن عقيل ١/ ٣١٨ ، وانظر في تخريج البيت معجم شواهد العربية ، ص ٢١٦ .

كلمتي (هذاشعر) واشار بخط نحو البيت منبهاً عامل المطبعة ، ويبدو ان نقاط الشين كانت اقرب الى العين فقرأها العامل (هذا سقر) وظن انها مما سقط من السطر فاعادها اليه .

وقد نبّه ابو احمد العسكري الى ان اصل المشكل في الحروف حيث قال : (شرحت في كتابي هذه الالفاظ والاسماء المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف مما يعرض في الفاظ اللغة والشعر وفي اسماء الشعراء وايام العرب . .)(٢٥) ونبه على ان سبب التصحيف والتحريف قلة الاخذ من العلماء فقال : (وقد كان الناس فيما مضى يغلطون في اليسير دون الكثير ، ويصحفون في الدقيق دون الجليل ، لكثرة العلماء ، وعناية المتعلمين ، فذهبت العلماء ، وقلت العناية ، فصار مايصحفون اكثر مما يصححون ، وما يسقطون اكثر مما يضبطون)(٢٦) ومن اجل ذلك (كان يقال : لاتأخذ القرآن من مصحفي ، ولا العلم من صحفي)(٢٧) ، وذلك ان الذي ينظر فيما هو مكتوب من غير اخذ من الشيوخ كان عرضة للوقوع في التصحيف ، وقد رُوي عن بعضهم انه كان يصحف (نَسرا) في الآية ٢٣ من سورة نوح فيقرأ : ولايغوث ويعوق وبشرا ، فقيل فيه (ذاك الذي يصحف على جبريل)(٢٨) وزعم اعداء حمزة الزيات(٢٩) انه كان في صباه (يتعلم القرآن من المصحف فقرأ يوما وابوه يسمع : الم ، ذلك الكتاب لازيت فيه ، فقال له ابوه : دع المصحف وتلقن من افواه الرجال)(٣٠) .

ومن التصحيف الذي مردّه الى اضطراب الاعجام وضعف الرواية ما اورده العسكري مما وقع في كتاب العين ، فمن ذلك مثلا قوله : (فمن التصحيفات الواقعة في كتاب العين مما لايذهب مثله على الخليل قوله : القارح بالقاف وحاء غير معجمة : القوس التي بان وترها عن مقبضها . واستشهد ببيت مصحف ايضاً :

وقارحا من قصب تقضبا

---

(٢٥) التصحيف والتحريف ، ص ١ .
(٢٦) نفسه ، ص ٥ .
(٢٧) نفسه ، ص ١٠ .
(٢٨) نفسه ، ص ١١ .
(٢٩) قال عنه ابن الجزري في غاية النهاية ١/ ٢٦٣ : (واليه صارت الامامة في القراءة بعد عاصم والاعمش ، وكان اماما حجة ثقة ثبتا) .
(٣٠) التصحيف والتحريف ، ص ١٢ ـ ١٣ .

وانما هو الفارج ، بالجيم والفاء ، يقال قوس فارج وفرج ، لانفراج وترها عن كبدها ...)[٣١] ، (..ومنه قرأت على ابن دريد : الشدف : سواد الشخص بالشين المنقوطة ، مارأيت شدفاً ، أي : شخصاً ، ثم قال ابو بكر : لاتنظر الى ما في كتاب الخليل في باب السين غير المعجمة ، فقال : سدف في شدف ، فان ذلك غلط من الليث على الخليل)[٣٢] .

فهذا ونحوه هو اكثر ماأورده علماؤنا من التصحيف والتحريف ، على ان اهمال الشكل كان يوقع في اشكال الا انه اقل مما يقع بسبب تشابه الحروف واضطراب اعجامها ، وقد حث العلماء على العناية بالشكل والضبط ليكون عونا للمتعلم على القراءة الفصيحة ، فمن ذلك ماذكره علي بن المديني قال (مرّ بنا الجمّاز ونحن في مجلس للحديث ، فقال : ياصبيان انتم لا تحسنون أن تكتبوا الحديث ، كيف تكتبون أَسَيْدا وأُسيّدا وأَسِيدا ؟ . قال : فكان ذلك أول ماعرفت التقييد وأخذت به)[٣٣] .

ومهما قيل في اهمية الشكل فلاينبغي ان نبالغ في ذلك ، فقارىء العربية يجد به حاجة الى ضبط الفاظ قليلة في صفحة كاملة ، بل صفحات ، ذلك ان القراءة لاتتم حرفاً حرفا ، بل تكون قراءة جملية او كلية ، وآية ذلك انك تجرّ الاسم الممنوع من الصرف بالكسرة لانه اضيف الى مابعده ، ولاشك في ان الاسم المضاف اليه لم يكن قد ذكر بعد حين حركت الممنوع من الصرف بالكسرة ، نحو قولك : سلمت على اكرم من زيد ، وسلمت على اكرم من في المجلس .

والذي عنده معرفة يسيرة بالعربية لايخطيء في قراءة جملة (أكل التفاحة زيد) مثلا ، فلا يتصور ان يقرأ الفعل على انه مصدر ويضيفه الى التفاحة ، ثم يفاجأ بلفظ زيد ، ولا يتصور انه سيرفع التفاحة وينصب زيداً على طريقة خرق الثوب المسمار .

وقد فصل دي سوسور القول في ذلك حين فرق بين قراءة الالفاظ المألوفة والالفاظ الجديدة فقال : (والقراءة مسألة اخرى ، فنحن نقرأ بطريقتين : فنلفظ الكلمة الجديدة غير المعروفة لدينا حرفاً حرفاً . اما الكلمة الاعتيادية المألوفة فنقرأها مرة واحدة بنظرة سريعة ، من دون التوقف عند كل حرف من حروفها . فتكتسب صورة الكلمة باكملها قيمة لها فكرة . وفي هذه الحالة يبرز نظام الكتابة التقليدي)[٣٤] .

---

(٣١) نفسه ، ص ٦٠ .
(٣٢) نفسه ، ص ٦٢ .
(٣٣) نفسه ، ص ١٤ .
(٣٤) علم اللغة العام ، ص ٥٢ – ٥٣ .

ومن ادلة القراءة الكلية ايضا مايكون في تعامل الاصوات اللغوية ، مما يطلق عليه التأثير المدبر[٣٥] حيث يؤثر الصوت الثاني في الاول ، فالتاء في هطلت تلفظ دالا وتدغم في دال ديمة عندما تكون الجملة : هطلت ديمة / هطلديمة / ، ومن ذلك قوله تعالى : (قال قد أجيبتْ دَعوتكما)[٣٦]/ أجيبدّعوتكما / ، ونون (ينبغي) تلفظ ميما بتأثير الباء التي بعدها وهما في كلمة واحدة ، وكذا نون (من) بتأثير الباء في (بعدى) وان كانا من كلمتين ، ويتأثر تنوين (أحد) بميم (من) فينقلب نون التنوين ميما ويدغم في الميم ، وذلك في قوله تعالى : (قال ربّ اغفرْ لي وهبْ لي ملكاً لاينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهّاب)[٣٧]/ ملكلا يمبغي لاحد ممبعدي / ، والامثلة على ذلك كثيرة .

ومن هنا تظهر مبالغة الذين يرون في رموز الصوائت القصيرة (الحركات) في العربية مدعاة للبس لانها ليست متصلة بالاصوات الاخرى في مستوى السطر ، وتمثيلهم بنحو (علم) حيث يمكن ان تكون اسما (عَلَمٌ) أو مصدرا (عِلْمٌ) أو فعلا مبنيا للمعلوم (عَلِمَ) او فعلا مبنيا للمجهول (عُلِمَ) او فعلا متعديا بالتضعيف (عَلّمَ) او مبنيا للمجهول (عُلِّمَ) او أمرا (عَلِّمْ) .

أقول : مثل هذا احرى ان يعد في فضائل العربية لافيما يؤخذ عليها ، على مافيه من اغفال لما قدمناه من ان اللغة جمل وليست الفاظا مجـردة ، والجمل اللغوية تواصلية ، ومن ثم فلابد من واقع حال ليتم التواصل ، الا يرى مثلا انه لو جاءك شخص وقال لك : (علم زيد أن عمرا يسأل عنه) ولم تكن تعرف زيدا ولا عمرا ، فستنظر اليه نظر من يقول :لست انا المعني بهذا الخبر فلعلك اخطأت الشخص الذي تريد أن تنقل الخبر اليه ، او لعلك تسأله من زيد ومن عمرو وما شأني بذلك ؟ .

وعلى اي حال فانه فضلا عن سياق التواصل وواقع الحال . اذا خيف اللبس تثبت رموز الحركات ، ولاشك في أن مالايثبت في الخط الا عند خوف اللبس ، او ارادة الضبط فيه اقتصاد كبير في الرسم .

وهكذا نجد في الرسم العربي محافظة الصوت الواحد على قيمته في الالفاظ ، واختصار الجهد في رسم الصوائت القصيرة ما لانجده في لغات حية اخرى كالانجليـزية مـثلا . بل اننا نجد ماقدمناه من أمثلة دليلا على فصل العربيـة

---

(٣٥) انظر : التطور اللغوي ، ص ٢٢ ، وقد اطلق د . ابراهيم انيس على الظاهرة اسم التأثير الرجعي . انظر : الاصوات اللغوية ، ص ١٧٨ وما بعدها .

(٣٦) يونس : ٨٩ .

(٣٧) سورة ص : ٣٥ .

حيث استطاعت ان تؤدي معاني متعددة بتغييرات صوتية يسيرة ، كما انه (من اكثر انواع الرسم سهولة ودقة وضبطا في القواعد ومطابقة للنص)[٣٨].

اما ما ذكره بعضهم في معرض بيان عيوب الرسم العربي من انه (لم يضع رمزا لكل صوت ينطق في اللسان العربي ، بل جعل للرمز الواحد احيانا قيمتين صوتيتين : فرمز الواو (و) يدل على الواو في (وعاء) . وفي (يقول) مع اختلاف قيمتها الصوتية والصرفية ، وكذلك رمز الياء (ي))[٣٩] . فجوابه من وجهين الاول : ان الرمز الى الواو الاحتكاكية في مثل (وعد) او (لون) والى الواو الصائتة في مثل (يقول) برمز واحد لايؤدي الى اضطراب في نطق الالفاظ وقل مثل ذلك عن الياء الاحتكاكية في مثل (يد) . او (ليس) بل انه (ليس شيئا مذكورا بجانب اللبس الذي يحدثه الرسم الانجليزي مثلا ... فكثيرا ما يختلف النطق بالصوت الواحد من هذا النوع وغيره تبعا لاختلاف الكلمات التي يرد فيها حتى انه لايستطاع قراءة معظم الكلمات الانجليزية قراءة صحيحة بمجرد النظر الى حروفها ، بل لابد في ذلك من ان يكون القارىء قد عرف نطق الكلمة من قبل عن طريق سماعها من انجليزي ، كما انه لايستطيع كتابتها كتابة صحيحة بمجرد سماعها بل لابد في ذلك من ان يكون قد حفظ حروفها من قبل عن ظهر قلب ...)[٤٠].

فالانجليزية يمكن ان تعبر عن الواو الاحتكاكية بالرمز (W) كما يمكن ان تعبر عنها بالرمز (o) وذلك نحو : (what) /wDt/ ، و (was) / WDZ / ، أو (one) /WΛn/ و (once) /WΛns/ كذلك تعبر عن الواو الصائتة بالرمز (W) نفسه في نحو (two) /tU:/ و (Few) /FjU:/ أو بالرمز (oo) في نحو (too) /tU:/ و (Food) /fU:d/ ولا نجد مثل هذا في العربية . ومع ذلك فهذه الالفاظ وامثالها بسبب حفظها وشيوعها لايكاد يخطيء في رسمها او نطقها المبتدىء .

الثاني : ان الدراسة الصوتية الحديثة اثبتت ان الفرق بين الواوين ، وكذلك الياءين ، حدوث الاحتكاك ، وعدمه ، فعندما يرتفع اللسان من اقصاه نحو اقصى الحنك الصلب حتى يصل الى نقطة يمكن عندها ان يحدث الهواء المار بينهما

---

(٣٨) علم اللغة لوافي ، ص ٢٧٧ .

(٣٩) المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص ١١ .

(٤٠) فقه اللغة ، د . علي عبد الواحد وافي ، ص ٢٥٧ .

(٤١) انظر مثلا : الاصوات اللغوية ، ص ٤٢ ، وعلم اللغة د . محمود السعران ، ص ١٦٧ ، ١٨٥ ، ١٩٨ وعلم اللغة العام ـ الاصوات ـ ص ٨٩ .

احتكاكا مسموعا ، مع استدارة الشفتين ، واهتزاز الوترين ، تولد الواو في نحو وجد ، والواو في نحو لون ، فاذا هبط اللسان عن تلك النقطة بحيث ان الهواء المار بين اللسان والحنك لم يعد يحدث احتكاكا مسموعا ، مع استدارة الشفتين واهتزاز الوترين ، ولدت الواو في نحو يقول . ومثل ذلك يقال عن الياء الصامتة الاحتكاكية في نحو يبس ، وليت ، والياء الصائتة المدية في نحو كريم .

وليس في اصوات العربية ما يتصرف هكذا سواهما ، ومن ثم كان صحيحا وضع رمز كتابي واحد للواوين ، ورمز كتابي واحد للياءين . هذا في الكتابة ، اما في رموز الاصوات في الدرس اللغوي فينبغي ان يفرق بينهما بان يوضع رمز خاص بالواو الاحتكاكية وآخر خاص بغير الاحتكاكية (الصائتة) وكذلك يفرق في الرمز الصوتي الدراسي بين الياءين .

وشأنها في وحدة الرمز الكتابي وتعدد الرمز الصوتي الدراسي شأن النون التي تكتب برمز كتابي واحد ، وتتعد صورها الصوتية الدراسية بحسب اوضاعها التعاملية :

(مَنْ أخواك/ م ـَ ن . . . / ، مَنْ سيذهب/ م ـَ ں س . . . . ، من يقول/ م ـَ ي ي ـَ . . . / ، من لقيت/ م ـَ ل ل ـَ . . . .)

الصُّوَيْتَة (Th phoneme)

ان التباين الواقع بين رسم الالفاظ ونطقها بمقدار لايستهان به في اللغات الاوربية كان من الاسباب الاساسية التي ادت الى ظهور مصطلح (phoneme) والى ظهور الكتابة الصوتية التي تجاوزت في رموزها الف باء الكتابة . ولسنا هنا في معرض الكلام على النظرية او شرحها [٤٢] فذاك امر يخرج عمّا نحن فيه ولاسيما

اذا تذكرنا انه (ربما لم يَختلف حول اي نظرية من نظريات علم اللغة كما اختلف حول نظرية الفونيم ، وربما لم يوجد تطرف في تأييد النظرية والدفاع عنها في جانب ، والهجوم عليها والانتقاص منها في جانب اخر ، كما وجد بشأن هذه

---

(٤٢) انظر في ذلك مثلا : علم اللغة العام لسوسور ص ٧٠ وما بعدها ، وفي علم اللغة العام ، ص ١١٥ – ١٣٨ ومناهج البحث في اللغة ، ص ١٥٧ ـ ١٦٣ ، وكتب د . احمد مختار عمر اوسع دراسة بالعربية على ما نعلم (دراسة الصوت اللغوي) ص ١٢٩ ـ ٢٣٦ ومن المصادر الغربية التي اشار اليها :
1.Daniel Jones, The phoneme, itsnatur anduse,1962
2. jiri kramsky, The phoneme 1974 .

النظرية ، وربما تتعدد الاراء وتختلف المناهج بين مؤيدي النظرية الواحدة كما حدث بين مؤيدي نظرية الفونيم ولهذا يقول Robins : كمية كبيرة من المداد قد استخدمت في الجدال حول وداخل نظرية الفونيم ...)[٤٣] الا ان الذي يعنينا منها انها كانت تلبية للدرس الصوتي التحليلي حيث نظر عدد ممن كتبوا في النظرية الى الصويتة [٤٤] (Phoneme) بوصفها اصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني[٤٥] ، وبهذا اخذ معجم (Longman) في طبعته الصادرة عام ١٩٨١ م حيث ذكر في مادة (Phoneme) انها اسم علمي يراد بها اصغر جزء في الكلام يتم به التفريق بين الكلمات المتفقة فيما سواه[٤٦] ، ومثل لها بـ (P) و (b) في كلمتي (pig) و (big) .

ويمكن ان يمثل لها في العربية بالباء والميم مثلا ، فهما صويتتان لظهور اثرهما في التمييز عند التقابل كما في (كتب) و (كتم) .

وقد اختار د . احمد مختار عمر في تعريف كلمة (Phoneme) ماأورده Brosnahan و Malmberg في كتابهما (Introduction to phonetics, 1970. p.4) حيث ذكر انها (الوحدة المتميزة الصغرى التي يمكن تجزيء سلسلة التعبير اليها)[٤٧] . والمصطلح كما ذكر د . احمد مختار عمر نقلا عن كرامسكي[٤٨] لفظة فرنسية معدلة لكلمة اغريقية دالة على الصوت ، استعمله اول مرة دفريش دسكنيت في اجتماع الجمعية اللغوية الفرنسية في آذار عام ١٨٧٣م ثم استعمله لوى هافي ، ومنه انتقل المصطلح الى دي سوسور[٤٩] الذي عني بالانطباع السمعي في تمييز التقسيمات الفرعية لحركات النطق ، ومعرفة نقاط البداية والنهاية لاي صوت منطوق . وبهذا ربط بين النطق والسمع ، والصُوَيْتَة (Phoneme)[٥٠] عنده هي (الحصيلة النهائية للانطباعات السمعية وحركات النطق) وهي (الاثر المتبادل للوحدات السمعية والوحدات المنطوقة) فهي اذن (وحدة مركبة لها جذر في السلسلة المنطوقة واخر في السلسلة السمعية) .

---

(٤٣) دراسة الصوت اللغوي ص ١٣٩ .
(٤٤) اخترنا هذا الاسم مقابل الفونيم وسياتي ايضاحه .
(٤٥) دراسة الصوت اللغوي ص ١٥١ .
(٤٦) P.814
(٤٧) دراسة الصوت اللغوي ص ١٣٥ .
(٤٨) نفسه حاشية(٢) ، ص ١٤٣ .
(٤٩) نفسه . ص ١٤٢ .
(٥٠) علم اللغة العام ٥٦ ــ ٥٨ .

وقد استخدم المصطلح في العربية بلفظه الاجنبي (فونيم Phoneme) عدد ممن كتبوا في الدرس اللغوي ، ومنهم د . احمد مختار عمر في كتابه (دراسة الصوت اللغوي)(٥١) وتمام حسان في (مناهج البحث في اللغة)(٥٢) ود . عبد الصبور شاهين في (في علم اللغة العام)(٥٣) ود . محمد الحناش في (البنيوية في اللسانيات)(٥٤) ، واختار د . ميشال زكريا لفظة (فونام) في كتبه ، ومنها : (الالسنية مبادئها واعلامها)(٥٥) ، وترجم الكلمة د . التهامي الراجي الهاشمي بلفظ (الصّوتَة) في كتابه (الثنائيات اللسانية)(٥٦) ونص في كتابه (بعض مظاهر التطور اللغوي)(٥٧) على انها الصوتة بالضم وآثر الاستاذ صالح القرمادي ان يزيد الميم على لفظ صوت فتكون لفظة (صوتم) في مقابل (Phoneme) وذلك في ترجمته كتاب جان كانتينو (دروس في علم اصوات العربية)(٥٨) وقد سار على نهجه هذا وحاول الافادة منه الاستاذ الطيب البكوش في ترجمته كتاب جورج مونان (مفاتيح الالسنية)(٥٩) وبين انه اخذ بما (اقترحه الاستاذ صالح القرمادي من اضافة اللاحقة (م) للفظ (صوت) للحصول على (صوتم) مقابل (Phoneme) الذي دخل العربية في صيغة (فونيم) عند المشارقة ، وقد فضلنا على الدخيل التام تبني اقتباس هذه اللاحقة . فبالاضافة الى انها في حد ذاتها ليست غريبة عن اللغات السامية فانها تجنبنا اقتباس مجموعة كاملة من الالفاظ الدخيلة التي تدخل في تركيبها ، فتمكننا من اثراء العربية مجموعة من الالفاظ منها الى جانب (صوتم) ، (لفظم) (صيغم) ، (معنم) ... الخ)(٥٩) .

والذي نراه في هذا ان الابتعاد عن الدخيل مبدأ سليم ، الا ان وضع هذه اللاحقة يخرج الكلمة من عربيتها . وترجمة د . الهاشمي (الصوتة) ترجمة حسنة يمكن ان تغني اذا ارتضيت . على اننا نرى ان يشار الى مفهوم (اصغر وحدة صوتية) في لفظ المصطلح ، لذا نقترح لفظ (صويتة) مقابل (Phoneme) ولفظ (صويتي) لواحد التنوعات الصوتية(Aliophones) ذلك ان الصوت جنس عام يقيد بما يصفه فيقال الصوت اللغوي او الصوت الفيزياوي مثلا ، وقولهم في الـ

---

(٥١) ص ١٣٥ .
(٥٢) ص ١٥٧ .
(٥٣) ص ١٢٢ .
(٥٤) ص ٣٠ .
(٥٥) ص ١٩٩ .
(٥٦) ص ٨٢ ، ٨٣ .
(٥٧) هامش (٥) ، ص ١٠ .
(٥٨) ص ٢٢٠ .
(٥٩) ص ١٢ ، ١٣ .

(Phoneme) انه اصغر وحدة صوتية اراه مرخصا باستخدام لفظ التصغير فيه ولايعني ذلك انه صوت صغير فالصوت لايكون صغيرا او كبيرا انما كونه اصغر وحدة صوتية في الكلمة جعلنا نستعمل له هذه الصيغة ، فصيغة التصغير هنا اذن الغرض منها التمييز عن الصوت مطلقاً ، والاشارة الى الوحدة الصغرى في التعريف ، ولاشك في ان هذا افضل من استعمال اللفظ الاجنبي ، وكذلك من ترقيع اللفظ العربي بلاحقة جزرية (سامية) قديمة .

ولو شئنا الابتعاد عن الصوت والفاظه في الدرس الصوتي لقلنا ان مصطلح (حرف وحركة) خير مقابل لـ (Phoneme) والنسبة اليها تقابل التنوعات الصوتية ، الا ان ذلك يبعدنا عن المصطلحات الصوتية ، ويوقعنا في مشكل ازدواجية المصطلح ، على اننا يمكن ان نفيد من ذلك عند ارادة ايضاح المقصود بالمصطلح فنقول ان لفظ (صويتة) في هذا الباب يراد به مايراد بالحروف والحركات ، ولذا نقول ان صويتات اللغة العربية ثمان وعشرون صويتة صامتة وثلاث صويتات طويلة وثلاث صويتات قصيرة ، اما الصويتيات (Allophones) فتتعدد بحسب التعامليات الصوتية ، فنون (مَنْ) في : من عاد ؟ مثلا صويتة (Phoneme) وهي في : من كاد ؟ صويتي (Allophone) لانها تنوع من تنوعات النون بسبب التقائها بالكاف ، وهكذا ..

الكتابة الصوتية الدولية والخاصة :

الكتابة التي اصطنعها المشتغلون بدراسة الاصوات اللغوية التي تجعل لكل صوت لغوي رمزا كتابيا خاصا به على نوعين(٦٠) :

الأول : نظام الكتابة الصوتية الدولية وتوضع رموزها بين قوسين معقوفتين [ ] ، ويرى اصحاب هذا النظام انه يمكن ان يعبر به عن اصوات اية لغة في العالم (لان رموزه ــ ولو من الناحية النظرية في الاقل ــ تمثل امكانيات اصوات الكلام)(٦١) ، ويطلق عليه الابجدية الصوتية (Phonetic Alphabet) .

الثاني : نظام الكتابة الخاصة بلغة معينة وتوضع رموزها بين خطين مائلين / / ، ويطلق عليه الابجدية الصوتيّة (Phonetic Alphabet) .

وقد مرت الكتابة الصوتية الدولية بمراحل متعددة منذ القرن السادس عشر ، ونضجت على يد اللغوي الانجليزي هنري سويت (ت١٩١٢) الذي ساعد في انشاء

---

(٦٠) انظر : دراسة الصوت اللغوي . ص ٧١ ــ ٧٣ .
(٦١) نفسه ، ص ٧٢ .

الجمعية الصوتية الدولية عام ١٨٨٦م وكان رئيساً فخرياً لها . وقد استقر الامر بهذه الجمعية على تبني رموز الكتابة الصوتية الدولية التي قدمها سويت مستخدماً فيها الرموز الرومانية ، مرخصة لنفسها بادخال عدد من التعديلات المتجددة عليها ، وكانت آخر صورة معدلة لهذه الكتابة قد نشرت عام ١٩٥١م كما ذكر د . احمد مختار عمر[٦٣] نقلا عن عدة مصادر ، طبع آخرها عام ١٩٦٦م وهو علم اللغة العام لروبنز .

• واكثر مايعنينا من شأن هذه الكتابة كونها بنت ابجديتها على الرموز الرومانية التي استخدمها سويت اول مرة كما تقدم . وقد جعلت الجمعية الصوتية الدولية ذلك من مبادئها الاساسية (وكان من المباديء التي نادت بها مايأتي :

(أ) حين يوجد صوت واحد في عدة لغات فلابد ان يرمز له بنفس الرمز .
(ب) يجب ان تشتمل الابجدية على اكبر قدر ممكن من رموز الالفبائية الرومانية المعتادة . . .)[٦٣] وهو امر طبيعي لان الذين عملوا في هذا المجال تستعمل لغاتهم في الكتابة الرموز الرومانية على اختلاف يسير في شيء منها .

ونحن لانريد ان نغير الرموز الصوتية الدولية وان نستبدل بها رموزاً من عند انفسنا ، الا اننا في الوقت نفسه لانريد ان نقر استعمال رموز رومانية لاصوات لعل العربية قد اختصت بها ، او لعلها وضعت لها رموزاً ايسر ممّا في رموز الكتابة الدولية ، ولاسيما ان الجمعية قد خرجت (على المبدأ حين وجدت الرموز الرومانية غير كافية لتمثيل الامكانيات الصوتية الموجودة في مختلف اللغات)[٦٣] فالثاء الذي يرمز له في الكتابة الصوتية العربية بالرمز/ ث/ ، ويرمز له في الانجليزية بحرفين/ th / في مثل لفظ (thin) رمزت له الكتابة الصوتية العالمية بالرمز [θ] والذال /ذ/ الذي رمزت له الكتابة الانجليزية بما رمزت به لصوت الثاء /th/ في نحو (then) رمزت له الكتابة الصوتية العالمية بالرمز [ð] وحينما ارادت ان ترمز الى الضاد /ض/ والظاء /ظ/ العربيتين رمزت اليهما بناء على النطق اللهجي المصري فالضاد دال مفخّمة ، ولذا رمزت لها بـ [đ] والظاء زاي مفخمة فرمزت لها بـ [z] .

لقد نبّه دي سوسور على مسألة نراها في غاية الاهمية ويمكن ان نفيد منها فيما نريد ان ننتهي اليه من كلام على هذه الرموز ، ذلك انه نبّه على ان الكتابة الصوتية ينبغي ان يقتصر استعمالها على الدرس اللغوي الصوتي ، ولا ينبغي ان

---

(٦٢) نفسه ، ص ٦١ .
(٦٣) نفسه ، ص ٧٠ .

تكون رموزها بدلا عن رموز الكتابة المألوفة ، يقول : (هل هناك مايسوغ استخدام حروف هجاء صوتية عوضاً عن نظام مستخدم للكتابة؟ لايسعني هنا ان افعل اكثر من التنويه بهذه المسألة المهمة اذ اعتقد ان حروف الهجاء الصوتية ينبغي ان يقتصر استعمالها على اللغويين . وفي باديء الامر كيف يمكن ان نجعل الانجليز والفرنسيين والالمان وغيرهم ، يتبنون نظاماً موحداً ، ثم ان نظاماً موحداً من حروف الهجاء يمكن استخدامه في جميع اللغات قد يغدو مثقلا بالاشارات التي ترسم فوق الحروف وتحدد نطق هذه الحروف ، فضلا عن المظهر الثقيل للصفحة المكتوبة بالحروف الصوتية ، اذن فمحاولة بلوغ الدقة لابد ان تربك القاريء لانها تضفي الغموض على الشيء الذي اريد بهذه الحروف التعبير عنه . وتكون العيوب اكثر من الفوائد . فالدقة الصوتية اذن غير مرغوب فيها خارج العلم)[٦٤] .

وهذا الذي حذر منه خارج العلم من عيوب الحروف الصوتية العالمية مما عبّر عنه بالنظام الموحد من حروف الهجاء الذي يستخدم في اللغات جميعاً يمكن ان يكون سبباً من اسباب الثقل والارباك داخل العلم ايضاً . والذي نراه ان يتولى ابناء اللغة الواحدة وضع الرموز الصوتية العلمية ، غير رموز الكتابة المألوفة ، وتتولى الجمعية الصوتية الدولية ، او الاوربية ان شئت الافادة من هذه الرموز المحلية للتعبير عن الاصوات الخاصة بتلك الامة ، او المشتركة التي يكون رمز امة فيها الى الصوت اكثر موافقة لطبيعة الدرس الصوتي في الوضوح والاختصار ، كرمزي الثاء والذال اللذين تقدّم الكلام عليهما .

ولانجد اي معنى لان يستخدم الاصواتي العربي الحروف الرومانية وهو يوجه كتابه الى اكثر من مئة مليون لهم رموزهم الكتابية الموحدة غير الرومانية ، ولعلنا نملك هنا ان نردد عبارة دي سوسور (علينا ان نرسم لكل لغة ندرسها نظاماً صوتياً ، اي وصفاً للاصوات التي تعمل بها تلك اللغة ، فكل لغة تعتمد في عملها على عدد الفونيمات (الوحدات الصوتية المتميزة)[٦٥] . ونزيد عليها : ان يكون الرسم بالرموز الكتابية التي يستخدمها اهل تلك اللغة وان نفيد من طريقة الرموز العالمية في الرمز الى التنوعات الصويتية (Allophones) بامالة الخطوط او زيادة الخطيطات او التنقيط او قلب صورة الرمز . وغير ذلك ، ولانجد في العربية مايمنع من رسم الصوائت القصيرة (الحركات) برموزها المألوفة على السطر باستخدام خطيط لتكون الرموز الصوتية في مستوى افقي واحد كما سيأتي بيانه .

(٦٤) علم اللغة العام . ص ٥٣ .
(٦٥) نفسه . ص ٥٣ .

الخلط بين الرموز :

لقد غاب عن اذهان كثير من المعنيين بالكتابة تلك الحقيقة الدراسية التي عبّر عنها دي سوسور ،واوردناها آنفا ، حين قال : (ان حروف الهجاء الصوتية ينبغي ان يقتصر استعمالها على اللغويين) فراحوا يضعون المقترحات لتغيير رموز الكتابة المألوفة ، ويضجون بالشكوى من طريقة الرسم التي لاتتفق ونطق الاصوات وكان من هؤلاء عبد العزيز فهمي احد اعضاء مجمع اللغة العربية بمصر حيث قدم اقتراحا الى المجمع بجلسته في ٣/ ٥/ ١٩٤٢ م بشأن تيسير الكتابة العربية ودعا فيه الى ان يستبدل بالحرف العربي الحرف اللاتيني[٦٦] ، وقد نشرت د . نفوسة زكريا سعيد صورة لحروفه المقترحة[٦٧] فيها حروف لاتينية بدلا من حروف عربية كالقاف q والكاف k وفيها حروف لاتينية بزيادات كالثاء ŧ والالف a والشين ş وفيها حروف عربية مقلوبة كالصاد والطاء وفيها خمسة حروف عربية ج ، ح ، خ ، ع ، غ ، ، ولم استطع أن افهم سرّ هذا الخلط العجيب .

ورأى د . تمام حسان بعد خمسة عشر عاما ان عبد العزيز فهمي كان فيما اقترحه من اصحاب الآراء الحرة الذين يلقون من مجتمعاتهم ما يلقون وزعم غير ملتفت الى خلط الرموز عنده ـ انه دعا الى طرح الحروف العربية ووضع اللاتينية في موضعها . ثم فاقه باقتراح طرح الرموز العربية والاخذ من الاغريقية واللاتينية معا ، وكتابة العربية من اليسار الى اليمين ! يقول :[٦٨] (. . .ورأى عبدالعزيز فهمي رحمه الله ـ ولست ادري ان كان قد عضده في ذلك جماعة او لم يعضدوه ـ ان افضل الطرق الى اصلاح الكتابة العربية هي طرح الحروف العربية جانبا ، واستخدم الحروف اللاتينية في موضعها . . . ولقي في سبيل رأيه ما يلقاه اصحاب الآراء الحرّة في كل مجتمع . . غير انني شخصيا اميل الى الاخذ باشتقاق رموز عربية من الابجديتين الاغريقية واللاتينية . . وليس اقتراحي هذا مطابقا لاقتراح عبدالعزيز فهمي ، لانه على ماأظن دعا الى استخدام الرموز اللاتينية كما هي[٦٩] ، وانا ادعو الى الاخذ منها بحسب حاجة اللغة العربية ثم استكمال ما يبقى بعد ذلك من الرموز الاغريقية . . . ان اختيار أبجدية عربية منتقاة من هاتين ، تكتب من الشمال الى اليمين ، سيجعلنا نسبح مع التيار الفكري

---

(٦٦) انظر تفصيل هذا وغيره في : (تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر) ص ١٤٤

(٦٧) نفسه ، ص ٢١١ .

(٦٨) اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص ١٥٠ ـ ١٥٢/ وقد ظهرت طبعته الاولى عام ١٩٥٨ م .

(٦٩) نذكر بما اوردناه انفا بان في حروف عبد العزيز فهمي حروفا لاتينية كما هي واخرى لاتينية بزيادات ، واخرى عربية مقلوبة . واخرى عربية كما هي . وليس كما يظن د . تمام حسان .

العالمي بصورة اوضح واسهل ...) والتدرج المنطقي لاقتراح الاستاذ الفاضل لكي تكون سباحتنا جيدة ان يتم مشروعه باقتراح هجر اللغة العربية واصطناع احدى لغات اوربا ، لان تغيير الحروف مع بقاء اللغة لااحسبه يعين على السبح مع التيار الفكري العالمي ، فالافكار تحكمها اللغة بمعانيها وليست الرموز الكتابية .

وقد كان المستشرق الالماني برجستراسر من اوائل من استعمل الحروف اللاتينية بزياداتها للتعبير عن الاصوات العربية ، وذلك في محاضراته التي طبعت عام ١٩٢٩ بعنوان التطور النحوي للغة العربية ، مؤثرا اياها على الحروف العربية ، علما انه نبّه على ان كلا من الحروف العربية واللاتينية لاتعبّر عن الاصوات التي يراد ايرادها جميعا ، ثم رضي التغيير والزيادة في الحرف اللاتيني تعبيرا عن الصوت ، ولم يحاول مثل ذلك في الحرف العربي ، والامر في الحالتين لايعدو كونه اصطلاحا صوتيا ، قال : (والان لكي نقيد خلاصة بحثنا كتابة نحتاج الى واسطة ووسيلة ، غير الخط العربي ، وذلك لان الخط العربي لايبين تماما الاختلافات الجزئية للنطق التي تكلمنا عنها ، وكذلك الابجدية اللاتينية ، فهي لاتفي بالغرض ايضا ، ولهذا السبب اخترع الالسنيون ابجديات صوتية عددها كثير لامحل لذكرها هنا ، اذ يكفي لغرضنا الابجدية اللاتينية بزيادة بعض اشارات متممة زادها فيها المستشرقون لتأدية الحروف السامية خاصة .

فنشير الى الحروف المطبقة بزيادة نقطة اسفل الحرف اللاتيني نحو (S) اي الصاد وهذه النقطة نستعملها ايضا لتأدية الحاء فنكتبها (h) ...)[٧٠] ومضى يذكر حروفاً كان منها : القاف (k) او (q) والذال (d) والثاء (t) والشين Š والجيم ǵ والغين g والخاء (h̲) (والهمز علامته (د) مثلا : n ͗ اي ان والعين علامتها (ﻋ) مثلاً : a ͑ اي عن)[٧١] وفي الجدول الذي صنعه في ص ٢١ ذكر الظاء d̲ والضاد d̲̄

فهذه ثلاثة عشر حرفا اضطر الرجل فيها الى تغيير صورة الحروف اللاتينية فيها لتؤدي الصوت العربي الذي يؤديه رمزه بكل سهولة ، حتى انه استعمل ثلاث زوائد على الرمز (d) ليؤدي ما يؤديه الرمز العربي (ض) ، ولا نرى في هذا الذي صنعه ما يؤيد قوله (ان الخط العربي لايبين تماما الاختلافات الجزئية للنطق) فالذال والثاء والظاء مثلا من مخرج واحد والاختلاف بينها في الجهر والهمس والاطباق والانفتاح وقد بيّن الرمز نوع الصوت واختلافه عن غيره مما وافقه في المخرج ، فحين نرى / ث/ مثلا نعلم انه الصوت المهموس المنفتح من الثلاثة ،

---

(٧٠) التطور النحوي ، ص ٢٠ .
(٧١) نفسه ، ص ٢١ .

وحين نرى / ذ / نعلم انه النظير المجهور للثاء فهو الصوت المجهور المنفتح منها ، وحين نرى / ظ / نعلم انه النظير المطبق للذال فهو الصوت المجهور المطبق منها ، فأين هذه الرموز من رموز المستشرقين . نعم لو انه كان يكتب بغير العربية واعتذر بان قومه لايعرفون الرسم العربي فهو يغير في رسم قومه ليوافق اللفظ العربي لكان قولا ، او لو انه اثار مشكلة رموز الحركات وكونها خارج السطر لالتمسنا له العذر . فأما هذا الذي صنعه فلا نرى له فيه عذرا .

تغيير الرموز ومشكلة الحركات :

•اذا كانت الرموز التي جاء بها الاستاذ عبد العزيز فهمي او د . تمام حسان مقترحات لم تجد طريقها للتطبيق ، فان قوماً في تركيا استطاعوا ان يحملوا قومهم على هجر الحرف العربي ، واستبدلوا بحروف لغة القرآن حروف لغة الرومان ، وقطعوا بين فكر الجيل الوليد وما انتجته عقول ابائه واجداده على مدى الف عام . وكانت صورة اللفظ المفرد غير مشكول ، الدليل على ضرورة التبديل ، قالوا كيف نقرأ (علم) مثلا ، وفاتهم ان القراءة انما تكون جملية محكومة بالسياق ، وفاتهم ان رموز الضبط مستعملة في رسم هذه الحروف ، ولايحقر من شأنها ان تكون خارج السطر فوق رمز اخر او تحته مادام الاصطلاح قد وقع على مدلولاتها ، الم يروا اننا نلفظ صويتتين حين مَـ / م ـَ / من لفظ مَكتب وكذلك مـُ / م ـُ / من مُخلص وكذلك مـِ / م ـِ / من مِبْرد ، وان عدم رسم الصويتة للمعرفة المتقدمة باللفظ انما هو اختصار نافع ؟

ان محاولة رسم اللفظة العربية بحروف لاتينية تقابل الصوامت وحدها واغفال دور الصوائت القصيرة التي يمكن ان ترسم متى شئنا ، فيها سهو عن حقيقة تاريخية وحقيقة نفسية ، لقد سها دى سوسور عن هاتين الحقيقتين حين ذكر ان الالف باء الاغريقية قد تفردت من لغات البشر بأنْ اشارت الى كل صوت بسيط باشارة كتابية واحدة (فكل صوت بسيط يعبر عنه في الاغريقية باشارة كتابية واحدة ، وكل اشارة كتابية تمثل دائما الصوت البسيط نفسه ، لذا تعد الالف باء الاغريقية هذه اختراعا عبقريا اقتبسه بعد ذلك الرومان ... وهذه القاعدة لم تدركها بقية الامم .. واقتصر الساميون على كتابة الاصوات الصحيحة فقط فهم يكتبون (barbaros) بهيئة (BRBRS) (بربرس) [٧٢] .

---

(٧٢) علم اللغة العام ص ٥٧ .

ان الحقيقة التاريخية التي اغفلها سوسور هي ان علماء العربية قد وضعوا رموزا للصوائت قبل اكثر من الف وثلاثمائة عام(٧٣) ولم يقفوا عند رسم الحروف الصحيحة (الصوامت). ولاشك في ان اغفال ما اخترعه علماء العربية قبل اكثر من ثلاثة عشر قرنا سهو عن حقيقة تاريخية، ثم ان الاستدلال على لفظ جزري (سامي) بحروف لاتينية فيه اغفال لحقيقة نفسية، ذلك ان العين القارئة الفت في الرموز اللاتينية ان تكون الصوائت مرسومة في مستوى السطر برموزها الخاصة، كما الفت ان تقرأ الفاظها بصوامت متصلة احيانا لايفصل بينها صوائت كلفظ السين والتاء والراء في اول كلمة stress / stres / اما الحروف العربية فان العين الفت ان ترى الحروف الصحيحة (الصوامت) وان يقدر العقل وجود الحركات (الصوائت) اذا لم ترسم، لان من طبيعة اللفظ العربي انه لايبدأ بصامتين مثلا من غير صائت يفصل بينهما، فحينما نرسم (بر) يتعين ان يكون بين الباء والراء صائت يحدده السياق وواقع الحال نحو (كان فلان برا بوالديه) او (مارأيت خيرا من بر الوالدين) او (كان واصل بن عطاء يقول الحنطة ولا يقول البر للثغته)، وواضح ان بين الباء والراء فتحة في الاولى وكسرة في الثانية وضمة في الثالثة، على ان كاتب العربية ان شاء وضع رموز الصوائت فكتب: بَراً، ومن بِرّ، البُرّ، وهي بهذا الرسم من غير شك اكثر اختصارا من الاغريقية ومساوية لها في الوضوح واعتبر ذلك بالنظر الى صورتي اللفظ الذي اورده سوسور: barbaros، بَرْبَرُس.

ووضع رموز خارج جسم الحرف ليس غريبا في الرسم سواء كان عربيا ام غير عربي الا يرى مثلا اننا نضع نقطة على الفاء ونقطتين على القاف فيكون هذا رمزا لصوت وهذا رمزا لآخر، واللغات الاوربية تفرق مثلا بين/ t / و / t / بوضع خطيط على الاول وتفرق بين الحرف الكبير والصغير – وكل له موضع في الرسم – في صوت / ʒ / فترسم (j)، و (J) وكذلك صنع بعض الاتراك سامحهم الله حين استخدموا الحروف المنقوطة وذات الخطوط للتمييز بين المتشابه من الرموز فمن ذلك مثلا /o/ و / ö /، و / U / Ü /

وقد كتب بعض الفضلاء مقالا عن الابجديات التركية عبر القرون ختمه بقوله (وبالرغم من ان الابجدية المعاصرة قطعت شوطا كبيرا في ميادين العلم والمعرفة ... الا انني ارى انها احدثت فجوة كبيرة بين العلوم والاداب القديمة والحديثة

(٧٣) رمز ابو الاسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) الى الحركات بنقاط، ثم ابدلها الخليل (ت ١٧٥ هـ) بجرات علوية وسفلية للدلالة على الفتح والكسر وبرأس واو للدلالة على الضم)، الخط العربي ص ٦٠.

لايتعداها سوى الباحثين المختصين في هذا المضمار[٧٤] وردت فيه تسمية الحروف العربية التي استعملها الإتراك باسم الابجدية العثمانية ، وحاول في بعض مواضعه ان يوازن بين الكتابة بهذه الحروف والكتابة بالحروف اللاتينية ، تاركا الحروف العربية من غير ضبط او شكل ، مبيحا استخدام النقط في الحروف اللاتينية مقابل ذلك لتمييز الاصوات[٧٥] .

ولسنا هنا في موضع النظر في صحة ما صنعه بعض الاتراك او خطئه ، فهذا امر تقرره الاجيال التركية القادمة ، الا اننا نحرص على الجانب العلمي في الكلام على الحرف العربي ، ومجانبة الانصاف عند محاولة تسويغ التحول عنه ، يقول : (الابجدية العثمانية وتستند الى الحروف العربية ، وقد اضيف اليها بعض الاصوات (الحروف) التي لاتوجد في اللفظة العربية مثل : ب و ڃ .. استعملت هذه الابجدية بعد دخول الاتراك الدين الاسلامي الحنيف زهاء القرن العاشر الميلادي ، واستمرت ما يقارب عشرة قرون وانتشرت في جميع ارجاء الامبراطورية العثمانية ، وهي ماتزال مستعملة عند اتراك اوزبك في افغانستان واذربيجان ايران ، وأوزبكستان في روسيا . وقد كتبت عشرات الالوف من الاثار التركية بهذه الابجدية)[٧٦] .

فالاتراك العثمانيون اذن قد اخذوا الحرف العربي ، وزادوا في عدد من الرموز بقدر حاجة لغتهم ، وأفادوا منه بنجاح في تدوين اللغة التركية في رقعة واسعة جدا من العالم لمدة تقرب من الف عام ، وليس ادل على نجاح الحرف العربي في التعبير عن اصوات اللغة التركية من حرص الاتراك العثمانيين على الرسم به هذه المدة الطويلة .

ومع ذلك كله نجد الباحث الفاضل يقول : (ولما تأسست الجمهورية التركية سنة ١٩٢٣ م بدأت التغييرات الشاملة في كثير من الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فكانت الابجدية العثمانية من ضمن هذه التغييرات سنة ١٩٢٨ م لان الابجدية العثمانية لم تكن تلائم الكتابة الاملائية العثمانية لكون بعض الكلمات يختلط شكليا من حيث الاملاء ، ولايمكن ادراك معانيها المضبوطة وحدها الا اذا استخدمت في جمل . . .)[٧٧] .

---

(٧٤) الابجديات التركية عبر القرون ، مجلة اداب المستنصرية العدد ٩ سنة ١٤٠٤ ص ٥١٢ .
(٧٥) نفسه ص ٥٠٨ .
(٧٦) نفسه ص ٥٠٤ .
(٧٧) نفسه ص ٥٠٧ .

ولست ادرى كيف يمكن ان يقتنع الدارس بان الامة التركية قد ارتضت لنفسها حروفا لا تلائم لغتها طوال الف عام ، وان الاتراك الى اليوم في المواضع التي ذكرها آنفا مازالوا على تلك الابجدية على الرغم من انها لاتفي بالمراد ، وعلى الرغم من ان عشرات الالوف من الاثار الادبية التركية ، كانت كما ذكر قد كتبت بهذه الابجدية .

واما الاختلاط الشكلي في عدد من الالفاظ من حيث الاملاء ، وعدم ادراك المعاني الا في الجمل فهو امر قائم في اللغات الحية ينبه عليه الدرس اللغوي ، فانت لاتستطيع ان تقطع مثلا اتعني كلمة (go) في الانجليزية يذهب ام تذهب ام اذهب . ويتحدد المعني المراد بالجمل مع اتفاق الشكل في الاملاء نحو : who will go? ، will you go? ، I will go ، gohome . ومن ذلك مثلا كلمة : right فقد ذكر لها معجم Longman ستة معان اساسية اورد خلالها اثنين وثلاثين معنى اسلوبيا ، منها :

1.Aright turn, not alefttурn .
2.Are we going in therighk direction ?
4. she has no right to say that .
4.There's the hous,right in front of you .
5. The cat righted itself during thefall, and landed onits feet .

فهل قال الانجليز من اجل ذلك فلنغير إلرسم لكل معنى ؟ بل ان فيما اورده الكاتب الفاضل ما يؤيد وجود الاتفاق في الشكل الاملائي واختلاف المعنى في الاملاء التركي الحديث بالحروف اللاتينية فمن ذلك مثلا لفظة (gul) وردت بهذا الرسم مرتين[٧٨] ، مرة بمعنى (ورد) ، ومرة فعل امر (اضحك) من مصدر (gulmek) ولفظة (it) وردت بالرسم نفسه مرتين ايضا[٧٩] ، مرة بمعنى (كلب) واخرى فعل امر (إدفع) من مصدر (itmek) ولفظة (don)[٨٠] وردت بمعنى (تجمّد) وبمعنى (السروال) والرسم واحد . فهل يتم التفريق بين معاني هذه الالفاظ الا بالجمل والسياق وواقع الحال؟ ثم نقول بعد هذا اذا كان الكاتبون بالحرف اللاتيني قد ارتضوا نقطه ليلائم الاصوات التركية المختلفة كما في(u) و (ü) ، افلم

---

(٧٨) نفسه ، ص ٥٠٨ .

(٧٩) نفسه ، ص ٥٠٩ .

(٨٠) نفسه ، ص ٥١٠ .

حين زادوا عليها خطيطا او نقطا ليلائم اصوات لغتهم كالكاف المجهورة / گ/ والباء المهموسة / پ/ وغيرها .

يكن في وسعهم ان يرتضوا في الحرف العربي ، او العثماني ان رغبوا ، من الشكل والنقط ما يلائم الصوائت عندهم ، كما صنع سلفهم الصالح في الصوامت العربية

هذا فضلا عما قرره علم اللغة من ان الاملاء ، ولاسيما في اللغات ذات التاريخ والاصالة[٨١] لايمكن ان يكون الفيصل في الالفاظ ، وانما الامر معقود بالمشافهة والحفظ ، ونذكر هنا بما قاله جسبرسن في الانجليزية (فمعرفتنا باصوات الكلمة لاتساعد على تهجيها ، والعكس صحيح ، اذ لانستطيع نطق الكلمة اذا عرفنا هجاءها)[٨٢] ويقول انطوان مييه وهو يتكلم على الاختلافات في النطق التي لاتظهر في الكتابة : (ونحن نكّون فكرة خاطئة عن لغة ملفوظة عندما نحكم عليها بصيغتها المكتوبة فقط ... فاللغة المكتوبة كثيرا ماتكون لغة خاصة لاعلاقة لها باللغة المنطوقة ...)[٨٣] فالاصوات المكتوبة التي بين اللام والتاء في لفظة (light) / Lait/ هي الاصوات التي بين اللام والكاف في لفظة (like) / laik/ وقد اختلفت الرموز اليها بما لايمكن معه تصور اتفاق الصوت المرموز اليه لولا حفظ نطق اللفظتين ، ومثل ذلك (blame) / bleim/ و (break) / breik / ونقيض ذلك الصوت الاول في لفظه (than) / ðæn وفي لفظة (thank) / θæ enk حيث ينطق في الاولى ذالا وفي الثانية ثاء ، والامثلة على ذلك كثيرة .

رموز الاصوات العربية :

ما اوردناه آنفا يؤكد انه ليس هناك تسويغ مقبول للتحول عن صورة الحرف العربي في الدراسات الصوتية ، وان كان ذلك بدعوى العالمية او الدولية ، فالعالمية في الرموز الصوتية ليست أمراً تيسيرياً بل هي الى التعسير اقرب لما تؤدي اليه من اثقال الصفحات بالاشارات والارباك والغموض كما نص على ذلك دي سوسور ،[٨٤] بل ان دعوى عالمية الرموز الصوتية لاتعدو ان تكون حملا لامم الارض على ان تصطنع لنفسها الحرف الروماني المعتاد كما نصت على ذلك النقطة الثانية من مباديء الجمعية الصوتية الدولية وقد اوردناها آنفا . يقول د . التهامي الراجي

---

(٨١) في علم اللغة العام ، ص ٦٦ .

(٨٢) نفسه ، ص ٦٥ .

(٨٣) المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص ١٠ .

(٨٤) علم اللغة العام ، ص ٥٢ .

الهاشمي (وما هذه الكتابة الدولية الا الحرف اللاتيني ... اما الحرف العربي على الخصوص ، والسامي على العموم ، وغير السامي ، فلا اثر له في نظامه المعياري العالمي ، واما الاوصاف فانها اوربية محضة ، وليس لها من الصفة العالمية الا الاسم)[٨٥] .

ونحن نرى ان في اصطناع الرسم العربي ما يتفق وخصوصية لغتنا ، بل اننا نرى في ذلك ما يخفف عن هذه الرموز بعض الثقل مما كان دي سوسور قد شكا منه .

وقد اختلف المشتغلون بالدرس اللغوي العربي في امر استخدام الرموز فيما كتبوه ، فمنهم من اثر التمسك بالرموز العربية في الصوامت والصوائت ، ومنهم من تمسك بهذا ثم انتقل الى الرمز اللاتيني (الدولي او المعياري) في صوتي الامالة والتفخيم ، ومنهم من هجر الرمز العربي الى رموز المستشرقين وهي بالحرف اللاتيني ، ومنهم من آثر استخدام الرموز اللاتينية سواء كانت دولية ام من زياداته هو ، وهكذا ، مما يثير البلبلة والاضطراب في وجه دراسي الاصوات اللغوية من شباب هذه الامة .

ففي (دراسة الصوت اللغوي) استخدم د . احمد مختار عمر الرموز الدولية ، وعندما تكلم على صويتات (فونيمات) العربية ورسم الاصوات ومخارجها[٨٦] استخدم الرموز العربية ثم لم يلبث عند التطبيق ان عاد الى الرموز اللاتينية فكتب مثلا : (والله Wa!!aahi)[٨٧] .

ويستخدم عبدالصبور شاهين في كتبه رموز المستشرقين وقد صرح بذلك في (المنهج الصوتي للبنية لعربية) حيث قال : (تعتمد محاولتنا على الرموز الصوتية الاستشراقية في كتابة الامثلة واجراء كل تحليل للصيغ .. وهذه هي الرموز المقابلة للرموز العربية ....)[٨٨] واوردها متقابلة .

وممن حرص على استعمال الرمز العربي د . التهامي الراجي الهاشمي ولكنه مع ذلك حدد مواضع الامالة العربية على النظام المعياري العالمي برموزه اللاتينية[٨٩] ، ولم يضع رمزاً عربياً للامالة .

---

(٨٥) بعض مظاهر التطور اللغوي ، ص ٩٣ .
(٨٦) دراسة الصوت اللغوي ، ص ٢٧٥ .
(٨٧) نفسه ، ص ٢٨٦ .
(٨٨) المنهج الصوتي للبنية العربية ، ص ٣٧ .
(٨٩) بعض مظاهر التطور اللغوي ، ص ١٠٢ .

وكذلك كان د . رمضان عبد التواب حريصاً على استعمال الرمز العربي في كتابه (التطور اللغوي) ومع ذلك لجأ الى الحركات المعيارية برموزها اللاتينية عند كلامه على التحول الصوتي من المزدوج الى المفخم والامالة(٩٠) .

وممن اقام على الرمز العربي ولم يخلطه بغيره د . داود عبده في مقاله (ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية)(٩١) وقد فرّق فيه بين رمز الياء المدية ورمز غير المديّة : /ي/ للياء غير المدية و /ـيـ/ للياء المدية، وكذلك الواو المدية وغير المدّية : /و/ للواو غير المدّية و /ـوـ/ للواو المدية ، وجعل رمز الالف /ـا ـا/ وهكذا . وسوف نخالفه قليلا في رموز الصوائت الطويلة .

وكان د . تمام حسان فيمن عرضوا الرموز اصوات العربية اكثرهم تفصيلا الا انه الزم نفسه الحروف اللاتينية واجتهد فيها باللّي والتمطيط والبتر والتذييل متجنباً الرموز العربية الا في حرف العين حيث اقرّ استعماله ولكن بعد ان طمس فتحة عينه فصار كالحاء . صنع ذلك كله في الرموز مع انه قال قبل بيانها : (ووضع الرموز اصطلاح لااكثر ولا اقل ، اي ان العلاقة بين الرمز ومدلوله علاقة اعتباطية ، لامنطقية ولا طبيعية ، ووضع الرمز ككل نواحي الاصطلاح بحاجة الى الايضاح قبل الاستعمال ... وفيما يأتي ايضاح للرموز الاصواتية المستعملة في هذا الكتاب)(٩٢) .

وذكر خمسين رمزاً صوتياً ، لنا كلام على عدد منها آثرنا ذكره قبل ان نورد الرموز كي لاتخلط بذكرها شيئاً ، فمن ذلك ايراده ثلاثة رموز لاصوات لهجية غير فصيحة وتركه ثلاثة شائعة كثيراً ، فرأينا ان نذكر رموزها جميعاً بالحرف العربي اتماماً للفائدة واشعاراً بان الحرف العربي غير قاصر عن الرمز لما استعمل الحرف اللاتيني من اجله : فمما ذكره صوت (v) ويقابله عندنا (ڤ) وهو صوت الفاء المجهورة ويكون في الالفاظ الاجنبية مثل (برج ايفل) ، و (J) قال : (هذا الرمز يدل على صوت غاري رخو مجهور ، لايوجد في العربية الفصحى ، ولكن اللهجة السورية تجعله صوتاً لحرف الجيم(٩٣) ، ونحن نسميه الجيم المشربة صوت الشين ونقترح له هذا الرمز چـ ، و (g) وقال عنه انه (طبقي شديد مجهور يوجد في اللهجات العامية ولايوجد في العربية الفصحى ، وهو في اللهجات العامية لاينتمي الى حرف

---

(٩٠) التطور اللغوي ، ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .
(٩١) مقال في المجلة العربية للدراسات اللغوية العدد الاول آب ١٩٨٢ ص ١٠٩ – ١٣٦ .
(٩٢) مناهج البحث في اللغة ، ص ١٦ .
(٩٣) نفسه ، ص ١٨ .

واحد ، وانما يختلف حرفه باختلاف اللهجة ، ففي الصعيد يعتبر هذا الصوت من حرف القاف وفي القاهرة وعدن من حرف الجيم.)[٩٤] وقد كان يغنيه ان يقول انه كاف مجهورة ونرمز لها بـ (گـ) .

ومما اهمله الزاي المطبقة ، وهي في لهجة مصر لنطق الظاء ويرمز لها عندنا بـ ز ، واهمل ايضاً الجيم المهموسة المشربة صوت الشين ، وهي في لهجة العراق ونواحي الخليج لنطق كاف المؤنث باطراد ، ويرمز لها بـ (چ) وثالثها الباء المهموسة ورمزها (پ) .

ومما لانوافقه فيه قوله : (... صوت الدال العربية الفصحى ، وهو صوت لايوجد في اللهجات العامية في الوقت الحاضر ... الثاء العربية الفصحى وهو كصوت الذال قاصر على العربية الفصحى ..)[٩٥] ونقول بل الصوتان من اصوات الفصحى والعامية على حد سواء في بلاد عربية عديدة منها العراق ودول الخليج الاخرى .

ومما لانوافقه فيه وضعه رمزا للراء وقوله : (ويرمز هذا الى صوت الراء على اختلافها ترقيقا وتفيخها) ووضعه رمزا للام وقوله : (وهذا رمز لصوت اللام على اختلاف قيمتها الصوتية كذلك) . ونرى ان يوضع رمز للمرقق وآخر للمفخّم .

ومن ذلك جعله عشرين رمزا للصوائت ، رمزين للامالة والتفخيم ، وتسعة للصوائت القصيرة وتسعة للطويلة ، بحسب تعاملياتها ، وهو تفصيل لانرى له داعيا ، على ان وضع رموز عربية مقابلة ليس بالامر العسير مادام مدار الامر على الاصطلاح ، وسنجعل لها ثمانية رموز ، رمزا للامالة وآخر للتفخيم ، وثلاثة للصوائت القصيرة ومثلها للطويلة .

ومما لانوافقه فيه وضعه رمزا لميم سماها مدغمة بغنّة ، ووضعه ستة رموز للنون ، واضطرابه في مسألة الغنة والادغام بغنّة ، فلم يفرق بين صوت الاخفاء ، وصوت الادغام بغنّة ، واغفل الرمز لما فيه هذا النوع من الادغام حقيقة ، وهذه مسألة بها حاجة الى فضل بحث : قال بعد ان وضع رمزا بصورة الميم اللاتينية الا انها ملتوية مذيلة : (هذا الرمز يدل على ما يسميه علماء التجويد ادغاما بغنّة ومن ثم كان الصوت الذي يدل عليه صالحا لان ينتمي الى حرف الميم كما في : (هم فيها خالدون) ، او الى حرف النون كما في (قبل ان تنفد كلمات ربي) .

---

(٩٤) نفسه ، ص ١٧ .

(٩٥) نفسه ، ص ١٩ .

وهذا الكلام يقطع بانه لم يكن يدرك المراد بالنون الخيشومية كما سماها سيبويه لانه ليس فيا ذكره ادغام بغنّة ولا بغير غنّة ، بل الذي فيه فيما يخص النون ما اصطلح عليه علماء التجويد بالاخفاء ، وذلك بان يتهيأ اللسان لنطق الحرف الذي يلي النون ولا يكون له علاج في اخراجها بل تكون غنّة في الخيشوم[٩٦] ، ويكون هذا شأنها مع غير حروف الحلق حيث تظهر ، وحروف (يرملون) حيث تدغم ، قال سيبويه : (وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه الخياشم)[٩٧] وذلك بعد ان ذكر الاظهار والادغام .

اما الميم فلا يجوز اخفاؤها مع الفاء او ادغامها ، نص على ذلك علماء التجويد ، قال ابو عمرو الداني وهو يتكلم على الميم : (فاذا التقى بمثله ادغم لاغير ، وان التقى بالفاء او الواو انعم بيانه للغنّة التي فيه ، اذ كان الادغام يذهبها فيختل بذلك ... فالفاء نحو (هم فيها) ...)[٩٨] وعند الكلام على احكام الميم الساكنة قال الاستاذ فرج الوليد : (يكون الاظهار اشد عند ملاقاة الميم الساكنة للواو والفاء لقرب مخرج الميم من مخرجها لئلا يحصل الاخفاء ، قال الحافظ ابن الجوزي :

واظهرَنْها عند باقي الاحرف
واحذر لدى واوٍ وفا أنْ تختفي
وذلك مثل هم فيها ...)[٩٩] .

ما اورده اذن في الميم متأثر بالنطق اللهجي الشخصي وليس مبنيا على اتقان اخراج الحروف العربية عند النطق الفصيح .

والذي اتجه لنا في هذا ان نجعل للنون ثلاثة رموز بما يوافق حالها في النطق ، فهي اما مظهرة ، او مدغمة بغنّة ، او مخفاة ، ولكلٍّ رمز صوتي خاص اما ادغامها بلا غنّة فلم نرمز له لانه سيكون عندئذ تكراراً للصوت الذي ادغم فيه .

وفيما يلي رموز الاصوات العربية للكتابة الصوتية ، وهي اقتراح نأمل ان يرتضيه الدارسون :

---

(٩٦) انظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، ص ٣١١ ـ ٣١٢ .
(٩٧) الكتاب ٢/ ٤١٥ .
(٩٨) التحديد في الاتقان والتجويد ، لابي عمرو الداني ، تحقيق د . غانم قدوري حمد ١٤٠٧ هـ ، ص ١٦٧ .
(٩٩) قواعد التلاوة ، ص ٩٦

/ ء / الهمزة ، / هـ / الهاء ، / ع / العين ، / ح / الحاء ، / غ / الغين ، / خ / الخاء ، / ق / القاف ، / ك / الكاف ، / ج / الجيم ، / ش / الشين ، / ض / الضاد الفصيحة ، وقد خرجت من الالسن العربية اليوم ، / ڍ / للضاد المصرية التي غلبت على السن الفصحاء في اكثر البلاد العربية ، ويجري عليها قرآء القرآن الكريم . / ل / اللام المرققة (غير المفخمة) ، / ڵ / اللام المفخمة في نحو : والله ، / ن / النون المظهرة في نحو من هذا ، / ن / النون المخفاة في نحو من فاز / ~ / النون المدغمة بغنّة في نحو : من يقنت ، / ر / الراء المرققة في نحو : هذا رزقنا ، / ر / الراء المفخمة في نحو : ربنا آمنا ، / ط / الطاء ، / د / الدال ، / ت / التاء ، / ص / الصاد ، / ز / الزاي ، / س / السين ، / ظ / الظاء ، / ذ / الذال ، / ث / الثاء ، / ف / الفاء ، / م / الميم ، / م / الميم المخفاة قبل الباء ، قال ابو عمرو الداني : (فان التقت الميم بالباء نحو آمنتم به ... فعلماؤنا مختلفون في العبارة عنها ، فقال بعضهم : هي مخفاة ، لانطباق الشفتين عليها كانطباقها على احداها ... وقال آخرون : هي مبيّنة للغنّة التي فيها ... وبالاول اقول ...)[١٠٠] .

/ ي / الياء غير المدية ، في نحو يسمح ، وليست ، اي سواء كانت نصف حركة ، او جزءاً من مزدوج ، / و / الواو غير المدية في نحو : وجد ، ولون ، وهي مثل الياء المذكورة ، برمز واحد لما كان نصف حركة ، او جزءاً من مزدوج . / ـٰ / صوت امالة الالف في نحو : (باسم الله مجريها ومرساها)[١٠١] ، / ۏ / صوت تفخيم الالف في نحو : (أقم الصلوٰة)[١٠٢] / ـَ) / الفتحة ، / ـًا / الالف . او الفتحة الطويلة . / ـِ / الكسرة ، / ـِـ / الياء المدية ، او الكسرة الطويلة فى نحو : نسير ، / ـُ / الضمة ، / ـُـُ / الواو المدية ، او الضمة الطويلة ، فى نحو : نقول .

(١٠٠) التحديد في الاتقان والتجويد ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
(١٠١) هود : ٤١ .
(١٠٢) الاسراء : ٧٨ .

جدول

الرموز الصوتية العربية

الصوت	الرمز الدولي IPA	رمز المستشرقين	الرمز العربي المقترح
الهمزة	ʔ	ʾ	ء
الباء	b	b	ب
التاء	t	t	ت
الثاء	θ	ṯ	ث
الجيم	dʒ	j̲	ج
الحاء	ħ	ḥ	ح
الخاء	x	ḫ	خ
الدال	d	d	د
الذال	ð	ḏ	ذ
الراء المرققة	r	r	ر
الراء المفخمة	—	—	ر̣
الزاي	z	z	ز
السين	s	s	س
الشين	ʃ	š	ش
الصاد	ṣ	ṣ	ص
الضاد القديمة	—	—	ض
الضاد الحديثة	ḍ	ḍ	د̣
الطاء	ṭ	ṭ	ط
الظاء	ð̣	ḏ̣	ظ
العين	ʕ	ʿ	ع
الغين	ɣ	g̲	غ
الفاء	f	f	ف
القاف	q	q	ق

الصوت	الرمز الدولي IPA	رمز المستشرقين	الرمز العربي المقترح
الكاف	k	k	ك
اللام المرققة	l	l	ل
اللام المفخمة	ḷ	ḷ	ل̣
الميم	m	m	م
النون	n	n	ن
غنة النون المخفاة	ŋ	—	∩
غنة النون المدغمة	ŋ	—	~
الهاء	h	h	ه
الواو الاحتكاكية	w	w	و
الياء الاحتكاكية	j	y	ى
الكسرة	i	i	ـِ
الياء الصائتة	i	ii	ـِـِ
الفتحة	a	a	ـَ
الألف	a:	aa	ـَـَ
الضمة	u	u	ـُ
الواو الصائتة	u:	uu	ـُـُ
صوت الإمالة	ɜ	—	ـٰ
صوت التفخيم	ou	—	وٰ

المصادر

١ ـ الأبجديات التركيبة عبر العصور ـ د . هدايت كمال بدري . مجلة آداب المستنصرية العدد التاسع ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٢ ـ اسباب حدوث الحروف لابن سينا ، مراجعة طه عبد الرؤوف سعد ـ مصر ١٣٩٨هـ

٣ ـ الاصوات اللغوية ـ د . ابراهيم انيس ط٥ سنة ١٩٧٩م .

٤ ـ اعجاز القرآن ، مصطفى صادق الرافعي ط٩ سنة ١٣٩٣هـ

٥ ـ الالسنية ، مبادئها واعلامها ـ د . ميشال زكريا ط١ بيروت ١٩٨٠م .

٦ ـ الامالي لأبي علي القالي ـ مصورة عن طبعة مصر غير مؤرخة .

٧ ـ انباه الرواة ـ القفطي . ط دار الكتب المصرية ١٩٥٢م .

٨ ـ الانصاف في مسائل الخلاف ـ ابن الانباري ط٣ تحقيق محيي الدين عبد الحميد ١٣٧٤هـ .

٩ ـ بحوث لسانية ، نعيم علوية ط بيروت ١٤٠٤هـ

١٠ ـ بعض مظاهر التطور اللغوي ـ د . التهامي الراجي الهاشمي ط الدار البيضاء المغرب .

١١ ـ البنيوية في اللسانيات ـ د . محمد الحناش ط الدار البيضاء ١٤٠١هـ

١٢ ـ البيان والتبيين للجاحظ ـ تحقيق عبد السلام هارون ط٤ نسخة مصورة ١٩٧٥م .

١٣ ـ تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي ، د . شوقي ضيف ط٢ دار المعارف بمصر .

١٤ ـ تاريخ الجنس العربي . محمد عزة دروزة ط بيروت ١٩٦٤م .

١٥ ـ تاريخ الخط العربي وادبه ـ محمد طاهر الكردي ط ١ ١٣٥٨هـ ، التجارية بمصر .

١٦ ـ تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر ـ د . نفوسة زكريا سعيد ط١ دار المعارف ١٣٧٦هـ .

١٧ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ـ د . جواد علي جـ٧ المجمع العلمي العراقي ١٣٧٦هـ

١٨ ـ تاريخ اللغات السامية ـ أ . ولفنسن ط دار القلم بيروت ١٩٨٠م .

١٩ ـ التحديد في الاتقان والتجويد لابي عمرو الداني . تحقيق د . غانم قدوري حمد ط١ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م .

٢٠ ـ ترتيب تطبيق القواعد الصوتية في اللغة العربية ، د . داود عبدة ، المجلة العربية للدراسات اللغوية السنة الاولى ، العدد الاول ١٩٨٢م معهد الخرطوم للغة العربية .
٢١ ـ التصريف العربي من خلال علم الاصوات الحديث . الطيب البكوش ط١ تونس ١٩٧٣م .
٢٢ ـ التطور اللغوي . مظاهره وعلله وقوانينه . د . رمضان عبد التواب ، ط المدني ١٩٨١م .
٢٣ ـ التطور النحوي للغة العربية ـ برجستراسير ، نشرة د . رمضان عبد التواب ط الرياض ١٤٠٢هـ .
٢٤ ـ التعريف في اختلاف الرواة عن نافع لابي عمرو الداني . تحقيق د . التهامي الراجي الهاشمي ط المغرب ١٤٠٣هـ .
٢٥ ـ الثنائيات اللسانية ، د . التهامي الراجي الهاشمي ط دار النشر المغربية .
٢٦ ـ جمهرة اللغة ـ ابن دريد ، ط حيدرآباد الدكن ١٣٤٤هـ .
٢٧ ـ حجة القراءات لأبي زرعة ـ تحقيق سعيد الافغاني ط٢ بيروت ١٣٩٩هـ .
٢٨ ـ الخصائص لابن جني ـ تحقيق محمد علي النجار ط٢ دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ .
٢٩ ـ الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق . سهيلة ياسين الجبوري ١٣٨١هـ
٣٠ ـ دراسات في فقة اللغة . د . صبحي الصالح ط٣ ١٣٨٨هـ .
٣١ ـ الدراسات اللهجية والصوتية عن ابن جني ، د . حسام سعيد النعيمي ط١ دار الرشيد ـ بغداد ١٩٨٠م .
٣٢ ـ دراسة الصوت اللغوي ، د . احمد مختار عمر ط الكويت ١٣٩٦هـ .
٣٣ ـ دروس في علم اصوات العربية ، جان كانتينو ، تعريب صالح القرماوي ط تونس ١٩٦٦م .
٣٤ ـ دلالة الالفاظ ، د . ابراهيم أنيس ط٢ ١٩٦٣م .
٣٥ ـ ذيل الامالي والنوادر لابي علي القالي ـ مصورة عن طبعة مصر .
٣٦ ـ رسم المصحف ، د . غانم قدوري حمد ط ١ بغداد ١٤٠٢ هـ .
٣٧ ـ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن ابي طالب ، تحقيق احمد حسن فرحات ط دمشق ١٩٧٣ م .
٣٨ ـ سر صناعة الاعراب لابن جني تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط الحلبي ١٣٧٤هـ .

٣٩ ـ سيبويه امام النحاة ـ على النجدي ناصف ـ لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٣ م.
٤٠ ـ شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل تحقيق محي الدين عبد الحميد ط ١٤ ١٣٨٤ هـ.
٤١ ـ شرح الشافية للرضي الاسترابادي تحقيق محمد نور وصاحبيه بيروت ١٣٩٥ هـ.
٤٢ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري تحقيق عبد العزيز احمد ط ١ ١٣٨٣ هـ.
٤٣ ـ شرح المفصل لابن يعيش ـ مصورة عن طبعة مصر.
٤٤ ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لاحمد بن فارس تحقيق مصطفى الشويحي ط ١ ١٣٨٣ هـ.
٤٥ ـ العربية اصل والعبرية فرع، د. باكيزة رفيق حلمي مجلة المجمع العراقي مجلد ٢٦ سنة ١٣٩٥ هـ.
٤٦ ـ علم التجويد، نشأته ومعالمه الاولى. د. غانم قدوري ـ مجلة كلية الشريعة العدد ٦ سنة ١٤٠٠ هـ.
٤٧ ـ علم الغة، على عبد الواحد وافي ط ٧، ١٩٧٢ م.
٤٨ ـ علم اللغة، مقدمة للقارىء العربي، د. محمود السعران ١٩٦٢ م.
٤٩ ـ علم اللغة العام ـ دي سوسير ـ ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ط بغداد ١٩٨٥ م.
٥٠ ـ علم اللغة العام، الاصوات، د. كمال محمد بشر ط مصر ١٩٧٣ م.
٥١ ـ العين للخليل بن احمد الفراهيدي تحقيق د. مهدي المخزومي ود ابراهيم السامرائي ط بغداد ١٤٠٠ هـ.
٥٢ ـ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، نشرة برجستراسير ط ٢ بيروت ١٤٠٠ هـ.
٥٣ ـ فقه اللغة للثعالبي. طبعة مصورة عن الكاثوليكية.
٥٤ ـ فقه اللغة ـ د. علي عبد الواحد وافي ط ٦ ١٣٨٨ هـ.
٥٥ ـ الفوائد العلمية في فنون من اللغات للنواجي، تحقيق د. احمد عبد الرحمن حماد ١٩٨٦ م.
٥٦ ـ في علم اللغة العام د. عبد الصبور شاهين ط ٣ ١٤٠٠ هـ.
٥٧ ـ في اللهجات العربية ـ د. ابراهيم انيس ط ٣ سنة ١٩٦٥ م.
٥٨ ـ القرآن واللهجات العربية، د. حسام النعيمي ـ من كتاب رحلة في الهكر والتراث ط جامعة بغداد ١٩٨٠ م.
٥٩ ـ قواعد التلاوة وعلم التجويد ـ فرع توفيق الوليد ـ دار الرسالة بغداد ١٣٩٤ هـ.

٦٠ ـ الكتاب لسيبويه ـ نسخة مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٧ هـ .
٦١ ـ لسان العرب لابن منظور ، مصورة عن طبعة بولاق .
٦٢ ـ اللغة ج . فندريس ـ تعريب الدواخلي والقصاص ط لجنة البيان العربي ١٩٥٠ م .
٦٣ ـ اللغة بين المعيارية والوصفية ـ د . تمام حسان ط المغرب ١٤٠٠ هـ .
٦٤ ـ اللغة والفكر ـ د . نوري جعفر ـ مكتبة التومي بالرباط ١٩٧١ م .
٦٥ ـ اللهجات العربية في التراث ـ د . احمد علم الدين الجندي ط الهيئة المصرية غير مؤرخة .
٦٦ ـ محاضرات في اللغة ، د . عبد الرحمن ايوب ط بغداد ١٩٦٦ م .
٦٧ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني ـ تحقيق علي الجندي ناصف وصاحبه ط القاهرة ١٣٨٦ هـ .
٦٨ ـ المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها ، محمد الانطاكي ط بيروت ١٣٩٢ هـ .
٦٩ ـ المزهر في علوم اللغة وانواعها للسيوطي تحقيق محمد احمد جاد المولى وصاحبيه ط الحلبي .
٧٠ ـ مسند الامام ـ الامام احمد بن حنبل ط قديمة غير مؤرخة .
٧١ ـ المقتضب للمبرّد ـ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . ط القاهرة ١٣٨٥ هـ .
٧٢ ـ معجم شواهد العربية ـ عبد السلام هارون ط ١ ١٣٩٢ هـ .
٧٣ ـ المعجم العربي ، د . حسين نصار ط ١ ١٩٥٦ م .
٧٤ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ط الشعب ١٣٧٨ هـ .
٧٥ ـ مفاتيح الالسنية ، جورج مونان ، تعريب الطيب البكوش ط تونس ١٩٨١ م .
٧٦ ـ مناهج البحث في اللغة ـ د . تمام حسان ط الدار البيضاء ١٤٠٠ هـ .
٧٧ ـ من تراثنا اللغوي القديم ـ طه باقر ط المجمع العلمي العراقي ١٤٠٠ هـ .
٧٨ ـ المنهج الصوتي للبنية العربية ـ د . عبد الصبور شاهين . ط بيروت ١٤٠٠ هـ .
٧٩ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، تصحيح علي محمد الضباع ط دار الفكر غير مؤرخة .
٨٠ ـ نظائر الظاء والضاد لابن مالك ، تحقيق د . حاتم الضامن مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٣١ سنة ١٩٨٠ م .
٨١ ـ نظرية النحو القرآني ـ د . احمد مكي الانصاري ط ١ ١٤٠٥ هـ .
٨٢ ـ النواسخ في كتاب سيبويه ـ حسام النعيمي ط دار الرسالة بغداد ١٩٧٧ م .

المحتوى

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٦٨ لسنة ١٩٨٩